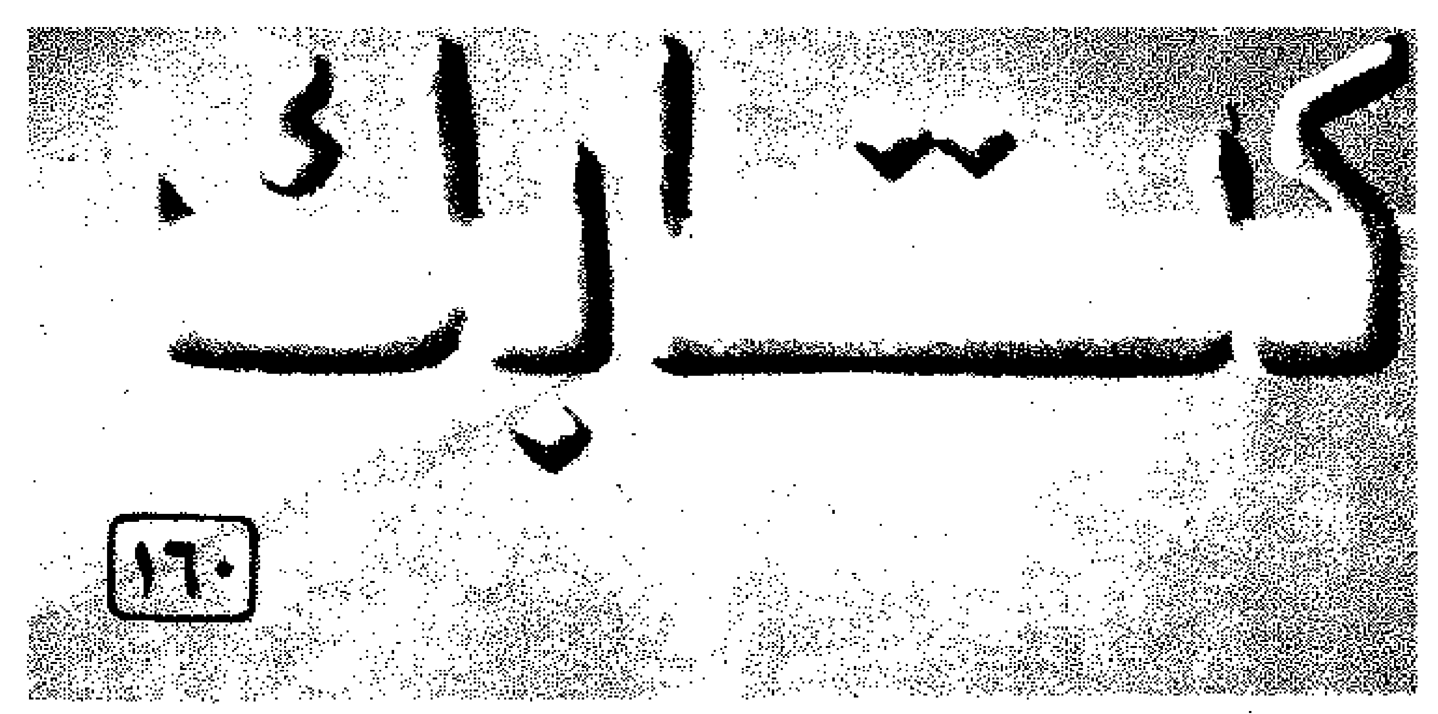


د. سيد محمد غنيم

الشخصية

Bibliotheca Alexandrina
0040425

اقرأ ١٦٠
رئيس التحرير أنيس منصور

د. سيد محمد غنيم

الشخصية

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

تعريف الشخصية

لفظ الشخصية من الألفاظ الدارجة على لسان كثير من الناس . فنحن نسمع إنساناً يتحدث عن إنسان آخر بأنه « شخصية محبوبة » ، أو أنه « شخصية عدوانية » ، أو « شخصية جذابة » ، أو « شخصية ضعيفة » ، أو « لا شخصية له » ، أو أن « له شخصيات متعددة » .

ولشيوع اللفظ على ألسنة الناس ، أصبح يبدو لنا بسيطًا ومفهومًا ولا يحتاج منا إلى تفسير وتحديد ، وقد يكون ذلك مقبولا في محيط الحياة العامة .

ولكن علم النفس لا يرتضيه أن يقف عند حد هذه الانطباعات العامة الدارجة ، بل يتطلب منا أن نحدد اللفظ تحديدًا علميًا دقيقاً ، وقد حاول الباحثون في الشخصية وضع تعريفات لهذا المصطلح ، ولم يصلوا إلى تعريف واحد مقبول منهم جميعًا .

ولذا ظهرت مجموعة من التعريفات المختلفة التي تختلف من باحث إلى آخر ، ومن هنا أصبح من الضروري تحديد مدلول اللفظ ، إذ هو في الواقع غير محدد في أذهان الكثيرين ، على عكس ما يبدو لمعظم الناس .

وتعريف الشخصية مسألة افتراضية . فليس هنالك تعريف واحد

صحيح ، والباقى تعريفات خاطئة ، والوقوف عند تعريف مقبول يرتضيه الباحث ، يقتضى منه دراسة مختلف التعريفات التى وضعت لدراسة الشخصية ، ومن الطبيعى أن يكون لمصطلح واسع الانتشار كالشخصية « تعريفات متعددة مختلفة » .

وقد أورد « جوردون ألبورت » فى كتابه « الشخصية » الذى نشره عام ١٩٣٧ ، ما يقرب من خمسين تعريفاً أو معنى مختلفاً للشخصية . وبعض هذه المعانى لاهوتى ، وبعضها فلسفى ، وبعضها اجتماعى ، وبعضها سيكولوجى .

ويذهب غالبية الباحثين إلى أن لفظ Personality بالإنجليزية ، أو Personalité بالفرنسية ، مستمد من لفظ Persona برسونا فى اللاتينية القديمة ، ويتفق الجميع على أن لفظ « برسونا » يعنى القناع ، ولقد ارتبط هذا اللفظ بالمسرح اليونانى القديم ، إذ اعتاد ممثلو اليونان والرومان فى العصور القديمة ارتداء أقنعة على وجوههم لكى يعطوا انطباعاً عن الدور الذى يقومون بتمثيله ، وفى الوقت نفسه لكى يجعلوا من الصعب التعرف على الشخصيات التى تقوم بهذا الدور .

فالشخصية كان ينظر إليها من ناحية مايعطيه قناع الممثل من انطباعات أو من ناحية كونها غطاء يختفى وراءه الشخص الحقيقى ، ويتفق هذا القول مع التعريفات التى تنظر إلى الشخصية من ناحية الأثر الخارجى الذى يحدثه الفرد فى الآخرين أكثر مما ينصب على ما هنالك

من تنظيم داخلى لدى الفرد .

ومع مرور الزمن أطلق لفظ « برسونا » على الممثل نفسه أحياناً ، وعلى الأشخاص عامة أحياناً أخرى ، وربما كان ذلك على أساس أن « الدنيا مسرح كبير » وأن الناس جميعاً ليسوا سوى ممثلين على مسرح الحياة .

لقد ورد لفظ الشخصية فى كتابات « ششرون » المشرع الرومانى القديم بأربع معانى مختلفة ، تستمد جذورها من فكرة المسرح هذه . والجدير بالذكر أن هذه المعانى تتضمن جميع الأفكار الحديثة لهذه الكلمة ، فالشخصية يمكن النظر إليها باعتبارها :

(ا) الفرد كما يبدو للآخرين وليس ما هو عليه فى الحقيقة ، وهى بهذا المعنى تتصل بالقناع .

(ب) مجموع الصفات الشخصية التى تمثل ما يكون عليه الفرد فى الحقيقة ، وهى بهذا المعنى ترتبط بالممثل نفسه .

(حـ) الدور الذى يقوم به الفرد فى الحياة سواء كان دوراً مهنياً ، أو اجتماعياً ، أو سياسياً .

(د) الصفات التى تشير إلى المكانة والتقدير والأهمية الذاتية ، وهى بهذا المعنى تشير إلى المركز الذى يشغله الفرد ، حين نتحدث مثلا عن شخص ما ونصفه بأنه « شخصية كبيرة » وبسبب هذه الدلالة ذات الصلة بالقيم ، فإننا لا نقابل مثل هذا التعريف الأخير عادة بين

التعريفات العلمية ، وإن كنا نقابله فى الاستعمال الدارج حين نشير إلى شخصية ما ذات مكانة وحيثية .

ولقد اكتسب لفظ الشخصية فى اللغة الدارجة معانٍ كثيرة مختلفة ، كما عرف أيضًا تعريفات علمية كثيرة ، وإذا نظرنا إلى التعريفات الدارجة نجد أكثرها شيوعًا هى تلك التى تنظر إلى الشخصية من حيث قدرة الفرد على التأثير فى الآخرين ، وذلك على نحو ما يتضح مثلا حين نتحدث عن شخص ما بأنه قوى الشخصية ونقصد بذلك أن له تأثيرًا قويًا واضحًا على الأشخاص الآخرين الذين يتصل بهم .

وكان من الطبيعى أن يرتبط بمثل هذه التعريفات بعض الصفات الأخرى مثل العدوانية ، فالشخصية القوية قد تتضمن أن لديه من القوة ما تجعله يفرض نفسه على الآخرين ، أما الشخصية الضعيفة فإن من السهل التأثير عليها ، أو بعبارة أخرى أنها تفتقر إلى نواحى القوة التى تمكنها أن تفرض تأثيرها على الغير .

وإلى جانب هذه التعريفات الدارجة ، هناك تعريفات أخرى علمية ، ويجدر بنا أن نشير إلى أن بعض هذه التعريفات التى قدمها علماء النفس ، قد تكشف لنا عن الاتجاهات التى يسير فيها تفكير هؤلاء العلماء فى نظرتهم للشخصية ، فقد عرفها البعض بأنها « مجموع ما لدى الفرد من استعدادات ودوافع ونزعات وشهوات وغرائز فطرية وبيولوجية ، وكذلك ما لديه من نزعات واستعدادات مكتسبة .

وقد نظر إليها البعض بأنها أسلوب التوافق العادى الذى يتخذه الفرد بين دوافعه الذاتية المركز ومطالب البيئة ، أما أصحاب النظرة الاجتماعية فقد نظروا إلى الشخصية باعتبارها « استجابات الفرد المميزة للمثيرات الاجتماعية وكيفية توافقه مع المظاهر الاجتماعية فى البيئة » .

ونظرة إلى التعريفات التى قدمها بعض علماء النفس نجد أنها تمايز فى مجموعتين :

إحداهما تنظر إلى الشخصية « كمثير » ، أى من حيث قدرة الفرد على إحداث التأثير فى الآخرين .

والثانية تنظر إلى الشخصية « كاستجابة » أى من حيث السلوك الذى يستجيب به الفرد ، وما يقوم به من أفعال فى المواقف البيئية المختلفة ، وقد لا يكون ثمة تعارض حقيق بين هاتين المجموعتين . فتأثير فرد ما فى الآخرين وقيمة هذا التأثير ، إنما هو دالة لسلوكه واستجاباته أيضاً .

ولكن النقد الذى يمكن أن يوجه إلى مثل هذه التعريفات هو أنها تؤكد الجوانب السطحية الظاهرية للشخصية ، أى أنها تعريفات أقرب إلى التعريف بالاقتناع أو المواجهة التى تحدث أثرها فى الآخرين ، على حين أنها تغفل جوهر الشخصية ، أو تنظيمها الداخلى الذى يكمن وراء هذه المواجهة ، ولذا اتجهت التعريفات العلمية الدقيقة إلى دراسة التنظيم الداخلى للشخصية والذى يمكن أن نستدل عليه من السلوك الظاهرى للفرد .

To: www.al-mostafa.com

ويمكن أن نشير فى هذا الصدد إلى تعريف « جوردون ألبورت » للشخصية والذى عرفها بقوله : « هى ذلك التنظيم الدينامىّ الذى يكمن بداخل الفرد ، والذى ينظم كل الأجهزة النفسية الجسمية التى تملى على الفرد طابعه الخاص فى السلوك والتفكير » ، وترجع أهمية هذا التعريف الأخير من ناحية أنه يركز على ناحية التنظيم الداخلى لأجهزة الفرد النفسية الجسمية أكثر من اهتمامه بالمظاهر السطحية الظاهرية ، كما يهتم بالطابع المميز للفرد وكذلك تكيفه مع البيئة المحيطة به .

محددات الشخصية

أولا : المحددات التكوينية (البيولوجية)

يميل البعض إلى القول بأن « الطبيعة الإنسانية » اجتماعية فى أساسها ، وأن المحدد البيولوجي للسلوك يمثل القدر المشترك بين الإنسان والحيوانات الأخرى ، ومع ذلك يجب أن نؤكد منذ البداية أن التأثيرات الاجتماعية يمكن أن تحدث أثرها فى الكائن الحى البيولوجي ، مثلما تحدث الاختلافات فى التكوين البيولوجي والجسمي للفرد ،اختلافات فى استجاباته للظروف الاجتماعية التي يعيش فيها ، ولذا — فحتى علم النفس الاجتماعي — لا يمكنه أن يغفل أهمية الجوانب البيولوجية فى الشخصية .

ويركز أنصار هذا الاتجاه البيولوجي فى دراستهم للشخصية اهتمامهم على مجالات متعددة أهمها :

١ — دراسة الوراثة : فالأفراد يختلفون بعضهم عن بعض تحت تأثير العوامل الوراثية ، وبصرف النظر عن الظروف والتأثيرات البيئية المحيطة بهم .

٢ — الأجهزة العضوية كالجهاز العصبي المركزى والجهاز العصبي المستقل ووظائفها وعلاقة ذلك بأنماط الشخصية .

٣ – التكوين البيوكيميائى والغددى للفرد .

وسوف نشير باختصار إلى كل نقطة على حدة :

١ – الوراثة :

الكائنات الإنسانية – شأنها فى ذلك شأن غيرها من الكائنات الحية – تخضع لقوانين الوراثة ، أما ما هى هذه القوانين ، وإلى أى مدى تحدث أثرها فى النواحى الجسمية والعقلية ، والمزاجية ، والشخصية ، فهذا ما بدأ العلم يكشف عن بعض خفاياه منذ أيام « تشارلس دارون » ، و « جريجور مندل » وهذه المسألة بالغة التعقيد ، ولا يسعنا إلا الاعتراف مع « دارون » بأن موضوع الوراثة كله موضوع عجيب ، وقد يظهر الكثير من الخلط بين الباحثين فى الدور الذى تقوم به الوراثة فى تحديد السلوك ، ولعل مرجع ذلك هو افتقارهم إلى الكثير من الحقائق المناسبة فى هذا المجال .

ولقد احتدم النقاش بين أنصار الوراثة ، وأنصار البيئة ، وحاول كل فريق أن يدافع عن وجهة نظره ويبين أهميتها فى تحديد الشخصية ، وفى نفس الوقت يقلل من قيمة العوامل الأخرى .

وكان من نتيجة التقدم السريع الذى أحرزه علم البيولوجيا وعلم الطب وتأثرهما بنظرية « دارون » خلال المائة سنة الأخيرة ، أن اتخذ أنصار الوراثة موقفاً متطرفاً وأكدوا تأكيداً قاطعاً أهمية العوامل الوراثية

فى تحديد الشخصية ، فذهب البعض إلى القول بأن الوراثة — وليست البيئة — هى الصانع الرئيسى للإنسان . . بل إن من الممكن القول بأن كل ما يطرأ على هذا العالم من تعاسة أو هناء لا يرد إلى البيئة ، فالفروق التى توجد بين الناس ، إنما ترجع إلى الاختلاف فى الخلايا الجرثومية الموروثة التى يولدون مزودين بها ، وعلى هذا الأساس تعتبر الشخصية « معطاة بشكل محدد من الولادة » .

أما أنصار البيئة فقد ردوا على هذا الموقف المتطرف ، بموقف متطرف كذلك ، ويتمثل ذلك فى تلك العبارة المشهورة لعالم النفس الأمريكى « وطسن » والتى يقول فيها : « أعطونى مجموعة من الأطفال الأصحاء سليمى البنية ، وأنا كفيل أن أخرج منهم الطبيب ، والمحامى ، والفنان ، والتاجر ، ورئيس العمل ، بل والشحاذ ، واللص ، بصرف النظر عن استعداداتهم وميولهم وقدراتهم وأعمال آبائهم وأصولهم الموروثة ، فليس ثمة شىء اسمه وراثة القدرات أو المهارات أو المزاج أو التكوين العقلى . . إلخ » .

ومن الممكن القول بأن معظم علماء النفس يميلون إلى توكيد العوامل البيئية ، برغم أنهم لا يصوغون عباراتهم فى صيغ متطرفة على النحو الذى وجدناه عند « وطسن » . وقد يكون السبب فى تبنيهم هذا الاتجاه ، ما يكون عليه الطفل فى بداية أمره من مرونة وسرعة تعلم وسرعة اكتساب الكثير من العادات عن طريق « الاقتران الشرطى » ،

أو عن طريق غيره من عمليات التعلم .

هذا بالإضافة إلى تفضيل العلماء الرجوع إلى الأسباب الظاهرة ، بدلا من الأسباب الخفية غير الظاهرة ، فهم يميلون فى كل حالة تقريباً إلى عزو خصائص الشخصية إلى « الاقتران الشرطى » والتقليد ، وغيره من صور التعلم ، وهى جميعها عمليات ظاهرة يمكن إخضاعها للدراسة والتجريب ، ولما كانت التغيرات المحتملة فى المؤثرات البيئية لا حصر لها من حيث العدد ، فمن الممكن الآن أن نُرجع إليها جميع الاختلافات التى توجد بين الناس ، دون التورط فى البحث عن تفسيرات خفية وغيبية عن طريق الوراثة .

والحقيقة أن أنصار الوراثة لا يذهبون إلى أن الشخصية موروثة ، بل يميلون إلى القول بأنه ليس ثمة مظهر من مظاهر الشخصية يمكن أن يخلو من تأثيرات الوراثة التى تحملها الجينات ، ومعنى ذلك أيضًا ، أنه إذا كانت كل خاصية تتأثر إلى حد ما بالجينات ، فمن الممكن أن تتأثر أيضًا بالظروف البيئية المحيطة ، مادية واجتماعية .

ومن هنا يمكن القول بأن السمة . . جسمية كانت أو عقلية أو مزاجية — لا يمكن أن تُعزى إلى العوامل الوراثية وحدها أو إلى العوامل البيئية وحدها ، وإنما إلى تفاعل هذين العاملين معاً . وهما متضامنان معاً منذ بداية الحياة .

وللتقدير الكامل لهذه الحقيقة ، يجب أن نشير إلى أن بيئة الفرد التى

تعنيها هنا تبدأ منذ اللحظة الأولى للحياة داخل الرحم ، وليست قاصرة فحسب – على نحو ما قد يفهم البعض أحياناً – على البيئة الخارجية بعد الولادة ، فالبيئة داخل الرحم – وهى التى تتحدد بشكل أولى بالنواحى الفسيولوجية للأم – تلعب دوراً هامًّا فى الحياة الجنينية للطفل .

فالخلية الناتجة بعد الإخصاب وما تحمله من مورثات من جانب كل من الأم والأب ، لا يمكن أن يكتب لها الحياة ما لم تتوفر لها مثل هذه البيئة الخاصة داخل الرحم بما فيها من حرارة ووقاية وتغذية ودفء إلخ . ومن المعروف أيضاً أن إصابة الأم بالحصبة الألمانية فى الأسابيع الأولى من الحمل ، قد ينجم عنها إصابة الطفل بالصمم أو العمى .

ومع أن أية سمة هى نتيجة التفاعل المتبادل بين العوامل الوراثية والبيئية ، فإن الدور الذى تقوم به هذه العوامل يختلف من سمة إلى أخرى . فنحن نكون أميل إلى البحث عن العوامل الوراثية من أجل تفسير لون العينين أو لون البشرة ، فى حين أننا نكون أميل إلى الرجوع إلى البيئة لفهم أساليب اللغة التى يستخدمها الطفل أو سلوكه الجانح أحياناً .

وفى ضوء ما سبق يمكن القول بأن الشخصية : هى دالة أو وظيفة للعوامل الوراثية والبيئية معاً ، وأن العلاقة بين هذين العاملين ليست علاقة إضافة أو جمع ، بل هى علاقة ضرب وحاصل ضرب ، بمعنى أنه إذا كان أحد طرفى العلاقة يساوى صفرًا – أى ليس له وجود – كانت النتيجة تساوى صفرًا كذلك ، ولا يكون ثمة وجود بالتالى

للشخصية وهذا ما عبر عنه بعض علماء النفس بقولهم : إن الشخصية دالة (الوراثة) × (البيئة) .

ميكانزمات الوراثة :

دراسة ميكانزمات الوراثة عند الإنسان محوطة بالصعوبات ، وذلك لتعذر إخضاعها للتجريب ، وإذا كانت تجارب السلالات على الحيوان قد كشفت عن بعض النتائج ، فإن من الصعب إجراء ما يماثلها على الإنسان ، وحتى إذا تيسر القيام بذلك ، فثمة صعوبات أخرى تواجهنا فى هذا الصدد ، منها أن الإنسان أبطأ فى إنتاجه من الحيوان مما يجعل دراسة السلالات الإنسانية تحتاج إلى أجيال متعاقبة إذا قورنت بما تحتاج إليه دراسة السلالات الحيوانية — عند الفيران مثلا — من وقت قصير نسبيًا ، ومن هنا فإن الكثير من معلوماتنا عن الوراثة مستمدة من كائنات حية أخرى غير الإنسان .

ومن المعروف أن الخصائص التى يرثها الإنسان تتحدد منذ اللحظة الأولى التى يتم فيها اتحاد البويضة الأنثية بالحيوان المنوى الذكرى . وهذه الخصائص تتوقف على الجينات التى هى حملة الاستعداد الوراثى عند الفرد ، والتى هى بقع صغيرة مستديرة توجد على الكروموزومات . وتتكون الخلية من ٤٦ كروموزومًا نصفها مورث من جانب الأم ، ونصفها الآخر من جانب الأب .

فهناك إذن ٢٣ زوجاً من الكروموزومات ، وكل واحد من هذه الأزواج يأتى من جانب أحد الأبوين ، ومن المعروف أن ٢٢ زوجًا منها غير محدد للجنس ، أما الزوج المتبقى فهو المسئول أساساً عن جنس الفرد . وتعطى الأم دائمًا ما نسميه باسم الكروموزوم ، أما الأب فقد يعطى إما كروموزوم الجنس X أو كروموزوم الجنس Y ، فإن أعطى الكرومزوم X كان الجنين أنثى ، وإن أعطى الكروموزوم Y كان الجنين ذكرًا ، ولذا فليست الأم مسئولة — على عكس الاعتقاد السائد عند عامة الناس — عن نوع الجنين .

والجين السائد هو الذى يحدد الخصائص المحددة بصرف النظر عن الجين للتنحى الذى يقترن به ، أما الجين المتنحى ، فهو على العكس ، يجب أن يتزاوج من جين آخر من نفس النوع قبل أن تتاح الفرصة للخصائص المرتبطة به أن تظهر إلى حيز الوجود ، وهناك مجموعة من السمات يكون لها الغلبة باستمرار ، فاللون الأسود للعينين يكون له الغلبة على اللون البنى أو الأزرق ، كما أن الشعر المجعد يسود على الشعر المسترسل

بعض الأساليب التى استخدمت فى دراسة النواحى الوراثية عند الإنسان :

(ا) شجر العائلة : لقد لجأ الباحثون إلى عدة طرق لدراسة الوراثة

عند الإنسان أولها الملاحظة المباشرة للعائلة ، وقديماً كانت الدراسات التى من هذا النوع تشمل أعداداً كبيرة من الأقارب ، ولكن الباحثين المحدثين لا يذهبون إلى مثل ذلك دائماً ، فمن الممكن الوصول إلى معلومات مفيدة من دراسة أعداد قليلة من أفراد الأسرة وإخضاعهم للملاحظة الدقيقة ، وتقل الأخطاء إلى أكبر قدر ممكن إذا اقتصرت الدراسة على هؤلاء الأفراد الذين يمكن ملاحظتهم بدقة ، وهناك مجموعات مزدوجة يكون لها أهمية فى البحث : كالأخ والأخت أو الوالدين والطفل .

(ب) التوائم : ومن أهم الدراسات وأمتعها — وإن لم تكن دائماً قاطعة — تلك التى تجرى على التوائم ، وطرق التحليل هنا تتطلب المزيد من الدقة قبل القيام بأية استدلالات ، لأن بيئة التوائم المتشابهة — التى هى فى الأصل بويضة واحدة انقسمت قسمين — يحتمل أن تكون أكثر تشابهاً فى بيئات الإخوة العاديين ، وقد اقترح جالتون مقارنة التوائم المتشابهة بالتوائم غير المتشابهة — وهما بويضتان خصبتا فى وقت واحد — من أجل دراسة آثار كل من البيئة والوراثة ، وقد تم إجراء الكثير من الدراسات على تمايز هذين النوعين من التوائم ، ومن الممكن الآن تصنيفها بدرجة كبيرة من الدقة .

والواقع أنه « إذا ما قدرنا أن سمةً ما موروثة كلية ، فلابد عندئذ من

أن تظهرها التوائم المتشابهة بنفس الدرجة من الدقة ، فى حين أن التوائم غير المتشابهة — وهى تتقاسم السمات الموروثة بدرجة أقل بكثير — لابد أن يختلف كلا التوءمين كثيرًا عن بعضهما بالرغم من أن هذا الاختلاف أقل بالطبع من الموجود بين أناس لا تربطهم ببعض رابطة ، أما إذا كانت السمة لا ترجع بأى حال إلى الوراثة — حيث تكتسب البيئة بالنسبة لها كل الأهمية — فإن التوائم المتشابهة ينتظر ألا تبدى أى تشابه يزيد عما لدى التوائم غير المتشابهة ، وتثار المشكلة بشكل ظاهر حين نواجه بِسِمَةٍ تتحدد جزئيًا بالوراثة وجزئيًا بالبيئة . فى مثل هذه الحالة ، لابد أن تكون التوائم المتشابهة أكثر تطابقاً من التوائم غير المتشابهة ، ولكن الاختلاف سيكون أقل مما لو كانت السِّمة موروثة كلية ، وفى إمكاننا أن نستخدم الاختلاف فى التطابق بين التوائم المتشابهة فى جانب ، والتوائم غير المتشابهة فى جانب آخر ، لكى نقدر بدقة ما للوراثة من أهمية فى تحديد هذه السِّمة » .

(حـ) وراثة بعض السِّمات العادية : ومن السِّمات العادية التى درست على نطاق واسع .. الذكاء ، والمهارات ، والاستعدادات الخاصة ، وكانت الدراسات القديمة فى هذا المجال تعتمد على التقديرات النوعية ، أو الكيفية ، ومع ظهور اختبارات الذكاء واختبارات الاستعدادات والمهارات وتقدم الأساليب الإحصائية المختلفة ، أصبح

من الميسور اليوم الوصول إلى تقديرات كمية أكثر دقة . وظهرت دراسات عدة على التوائم المتشابهة وغير المتشابهة ، وعلى الإخوة العاديين والأقارب من درجات مختلفة ، وعلى أفراد لا تربطهم ببعض أية رابطة قرابة ، فمثلا وجد الباحثون أن درجة الارتباط بين ذكاء التوائم المتشابهة ، أعلى منها لدى التوائم غير المتشابهة ، وهذه أعلى منها لدى الإخوة العاديين ، وبالمثل أجريت دراسات مشابهة على المهارات والاستعدادات الخاصة ، ومن ذلك مثلاً القدرة الموسيقية التي تظهر في بعض الأحيان في أجيال متعددة لدى بعض الأسر.

(د) وراثة الانحراف الاجتماعي لدى بعض الأسر : ومن بين الأسر التي درست على نطاق واسع وتتبعها العلماء جيلا بعد جيل ، أسرة عرفت بوراثة بعض مظاهر الانحراف والضعف العقلي ، وهي أسرة « الكاليكاك » ، وتنسب هذه الأسرة إلى الجد الأكبر « مارتن كاليكاك » وكان جنديًّا في جيش التحرير بأمريكا ، وقد اتصل هذا الرجل بفتاة ضعيفة العقل وأنجب منها طفلا خرج ضعيف العقل .

بعد الحرب تزوج من فتاة من أسرة عادية وأنجب منها طفلا كان عاديًّا ، وقد تتبع الباحثون سلالة كل فرع لما يقرب من مائتي عام ، وقد لاحظوا أن الفرع الذي ينتمي إلى الجد ضعيف العقل لم يكن به من العاديين سوى عدد قليل جدًّا ، أما الباقون فكانوا من ضعاف العقول

والمجرمين والخارجين على القانون ، أما الفرع الآخر فلم يكن به من الشواذ سوى عدد قليل جدًا على حين أن الباقين كانوا من قادة المجتمع وساسته ورؤسائه .

غير أن مثل هذه الدراسات جميعها ، يجب أن تؤخذ نتائجها بشيء ، كثير من الحذر ، لأن معايير التلاؤم الاجتماعي تختلف من بيئة إلى أخرى ، ولأن البيئة ذاتها تعتبر عاملا هامًا جدًا فى تشكيل شخصية الفرد فيما يتصل بنزعاته المضادة للمجتمع ، ففى المثال السابق الخاص بأسرة «الكاليكاك» ، كان الاحتمال كبيرًا أن ينزع عدد كبير من الأفراد ، من أفراد الفرع الأول إلى الإجرام والخروج على القانون ، لأن البيئة التى نشأ فيها هذا الفرع كانت فقيرة ولا تسمح بالتقدم فى مجال الحياة أو التعليم والترقى ، على حين أنه قد أتيحت أمام أفراد الفرع الثانى العادى فى ذكائه فرص التعلم والتقدم والترقى ، وهذه جميعها عوامل تؤدى إلى رفع المستوى الاقتصادى والاجتماعى لأفراد هذه المجموعة .

ويمكن أن نختتم حديثنا عن الوراثة بقولنا : إن لكل فرد منا نمطاً وراثيًا فريدًا ، أعنى أساسًا وراثيًا لهذه الشخصية الفريدة النامية ، والنظرة الحديثة فيما يتعلق بالتأثيرات الوراثية ، هى أنها يمكن أن تحدد الصفات العامة ، أو صفات الجماعة ، أو الصفات المميزة للفرد ، فنحن جميعاً بشر بحكم وراثتنا ، ونحن بيض أو سود ، طوال القامة أو قصار القامة بحكم وراثتنا ، كما أن لنا وجوهنا وأصواتنا وملامحنا الأخرى المميزة

أيضًا بحكم محدداتنا الوراثية .

غير أن مثل هذا القول لا ينفى الدور الذى تقوم به البيئة ، فحتى التوائم المتشابهة يوجد بينها بعض الفروق التى ترجع إلى التعلم والتأثيرات الاجتماعية الأخرى ، وكلما أصبحت الوظائف أكثر تعقيداً ، زادت الفروق التى يمكن أن تعزى إلى البيئة ، فالنزعة إلى التأثير السريع بالخوف يمكن أن تعزى إلى الوراثة ، ولكن عدد الأشياء التى تثير الخوف والقلق ، وعدد مرات الانسحاب من المواقف العادية يمكن أن تتأثر تأثراً عميقاً بواسطة عملية التعلم والاكتساب من البيئة .

٢ — الأجهزة العضوية وعلاقة وظائفها بأنماط الشخصية :

ولننتقل الآن إلى النقطة الثانية من المحددات البيولوجية ، ومن المعروف أن للثدييات جهازا عصبيا مركزيا .C.N.S يتكون أساسًا من مسالك عصبية طويلة تصل ما بين كل أجزاء الجسم والمخ . وبالإضافة إلى الجهاز العصبى المركزى ، هناك الجهاز العصبى المستقل .A.N.S ، الذى يختص بأنشطة لا إرادية معينة لازمة لاستمرار حياة الكائن الحى .

فهو مثلا الذى ينظم دقات القلب ويجعلنا نستمر فى التنفس ونحن نيام ، وهو الذى يتحكم فى مساحة إنسان العين كرد فعل للضوء الساقط على العين ، كما أنه هو الذى يتحكم فى درجة توصيل الجلد للكهرباء ، فيزيدها فى حالة الاضطراب أو الانفعال أو الخطر ، ويقللها فى حالة السكينة .

وأهمية الجهاز العصبي المستقل من الوجهة النفسية تكمن فى ارتباطه بحالات الانفعال التى نتعرض لها ، فى حياتنا — كما فى حياة كثير من الحيوانات — قد تعوق حالات الخوف الزائدة مثلا عملية الهضم ، أو تزيد فى رغبة الكائن الحى فى الجرى والهرب ، وطبيعى أن هنالك نوعًا من التوازن القائم بين حالات الانفعال هذه ، وبين قدرة الجسم على توفير القوة اللازمة للقيام بالاستجابات المتناسبة معها ، فإذا لم تتوفر للكائن الحى الطاقة اللازمة للجرى فإنه لن يستطيع من مواجهة المواقف الانفعالية التى تتطلبه ، وإذا هو حاول ذلك فلن يتمكن من الابتعاد .

ومن أهم العمليات النفسية التى يضبطها هذا الجزء من جهازنا العصبي ، ما يتعلق بتنظيم فيزيائية الجسم فى حالات الخطر ، إذ يقوم بإصدار الأوامر لتقوية الدورة الدموية وارتفاع ضغط الدم ، وإطلاق كميات كبيرة من مخزون السكر فى الكبد وإثارة هرمونات الغدة فوق الكلوية ، كما يصبح التنفس أكثر سهولة ، كما يقوم بتأخير عمليات الهضم ليوفر جهدها ويحوله إلى جهة أخرى أكثر إلحاحًا .

والجهاز العصبي المستقل ينقسم بدوره إلى قسمين : السمبثاوى ، والباراسمبثاوى — الأول هو جهاز الطوارئ الذى يعد الكائن الحى للقتال أو الهرب ، ويوقف عمليات الهضم ، ويزيد من دقات القلب ومن معدل سرعة التنفس ، أى هو الذى يعد الجسم بطرق مختلفة لمواجهة الأوضاع الخطيرة التى تواجه الفرد ، أما الجهاز الباراسمبثاوى فعمله

متناقض مع عمل الجهاز السمبتاوى ويؤدى آثاراً عكسية تماماً . فهو الذى يبطئ من سرعة التنفس ويقلل من دقات القلب ، وله فى كل الأحوال الأثر العكسى الكامل للجهاز العصبى السمبتاوى ، وهو جهاز حيوى لكى يعيش الكائن الحى عيشة هادئة آمنة تحفظ له بقاءه .

وبسبب العلاقة الوثيقة بين نشاط الجهاز العصبى المستقل ، وبين الحالات الانفعالية المختلفة التى تطرأ على الكائن الحى ، أخذ علماء النفس منذ سنوات بعيدة يبحثون عن الروابط بين الاستجابات التلقائية والسمات المزاجية للفرد ، لقد عرض أحد الباحثين مجموعة من الناس لإحباطات معينة ثم قاس عودتهم إلى حالة التوازن الداخلى خلال نشاط الجهاز العصبى المستقل ، وكشفت الدراسة عن وجود عمليتين مترابطتين هما إثارة الحافز والقدرة على التحكم فى تفريغ الطاقة استجابة لوجود المثير المخيف أو المهدد ، وفى ضوء هذه الاستدلالات أمكن تصنيف الأشخاص إلى نماذج ثلاثة : أناس تكون استثارة الحافز عندهم قوية وسريعة ، ولكن قدرتهم على التحكم فى تفريغ الطاقة ضعيفة ، ومن السهل على أمثال هؤلاء الاندفاع إلى ارتكاب الجريمة ، كما تكون قدرتهم على التوافق مع البيئة وضبط النفس ضعيفة ، وثمة مجموعة ثانية تكون استثارة الحافز لديهم ضعيفة وقدرتهم على التحكم فى تفريغ الطاقة قوية ، وهؤلاء يبدون كما لو كانوا متبلدين لا يريدون عمل شىء ما ، ويخافون من القيام بأى عمل فهم أقرب إلى الشخصيات المرضية ،

وهناك نوع ثالث تكون استثارة الحافز عندهم قوية وقدرتهم على التحكم في السلوك قوية كذلك ، وهؤلاء هم أكثر نجاحاً لأن الفرد منهم يبذل جهداً أو طاقة دون أن تذهب هذه الطاقة أو هذا الجهد هباءً .

وحديثاً زاد الاهتمام بدراسة هذه الأجهزة العضوية للكائن الحي الإنساني ، وربطها بشخصيته أو حالاته المزاجية .

فقبل سنة ١٩٥٠ ، لم تكن الدراسات التي استخدم فيها جهاز رسم المخ الكهربائي E.E.Y. بذات قيمة كبيرة ، كما لم تكن نتائجها مشجعة . ولكن في السنوات الأخيرة أصبحت لنتائج هذه الدراسات أهمية كبيرة . فقد وُجد ارتباط موجب بين الذبذبة « ألفا » وتقديرات الحالات المزاجية للفرد ، فالأشخاص الذين تكون عندهم الذبذبة « ألفا » عالية ، يعطون تقديرات مرتفعة في النواحي المزاجية ، إذ يكون الفرد منهم أميل إلى الاندفاع وأحوج إلى الضبط والتحكم في انفعالاته ، على حين أن الأشخاص الذين تكون عندهم الذبذبة « ألفا » منخفضة ، يكونون أميل إلى الحذر والتروي وإلى الكف .

وليس من شك أيضًا أن لإصابات المخ – والتي تتباين وتختلف تبعًا لنوع الإصابة وتبعًا لجزء المخ أو للمنطقة الخاصة التي لحقتها الإصابة – تأثير واضح على الشخصية . فأورام المخ قدمت للإكلينيكي قدراً كبيرًا من المادة التي تتصل بعمل المخ ووظيفته .

وبالإضافة إلى الأورام والإصابات هناك أيضًا التهابات الدماغ

فالالتهاب السحائى الشديد ، قد يحدث تغيرات ملحوظة وحادة فى الشخصية ، إذ يصبح المريض قلقاً مضطرباً ، يفقد التحكم والضبط تماماً ، يصرخ ويحتدى ربما بسبب الصداع الشديد.

٣ - التكوين الغددى للفرد :

بالإضافة إلى العوامل الوراثية ووظائف الأجهزة العضوية ، هناك عامل ثالث يندرج تحت المحددات البيولوجية ونعنى به التكوين الغددى ، وغنى عن القول بأن الغدد « الصماء » تلعب دوراً بارزاً فى حياة الإنسان السلوكية وعلى الأخص الجانب الانفعالى والدافعى منها ، كما يكون لها تأثير مباشر فى تشكيل مقاييس جسمه ونمطه الشخصى. ولهذا يميل البعض إلى اعتبارها بعض الجوانب الهامة فى فهم السلوك الحيوانى عامة ، والبشرى خاصة ، حتى أن أحدهم وهو « لويس برمان » بالغ فى أهمية إفرازات هذه الغدد « الصماء » فى تحديد الشخصية ، فقد ذهب إلى أن علم دراسة الغدد يلعب دوراً رئيسيًا فى تحديد الشخصية يفوق الدور الذى يلعبه أى عامل آخر. كما ذهب أيضًا إلى أن المريض النفسى ، والمريض العقلى ، بل والمجرم ، هم فى الحقيقة ضحايا اضطرابات إفرازات الغدد ، وأن من الممكن علاجهم عن طريق الغدد ذاتها ، كما أشار إلى إمكانية التحكم فى عملية النضج من خلال التحكم فى إفرازات الغدد « الصماء » وقد أخذت دراسة العلاقة

بين وظيفة الغدد والشخصية صورًا متعددة ، كان أقدمها الملاحظة الإكلينيكية لأشخاص يعانون من نقص إفرازات الغدد . ثم أتت بعد ذلك الدراسات التى أجريت على أشخاص أزيلت بعض الغدد عندهم لأسباب طبية أو مرضية ، وأخيرًا أتت الدراسات التجريبية التى تُجرى على أشخاص يحقنون بهرمونات تحت ظروف تجريبية دقيقة مضبوطة ، ثم ملاحظة ما يطرأ عليهم من تغيرات ، وكانت معظم التجارب التى تجرى على الحيوانات فى هذا المجال تنصب على إزالة الغدد دون أن تكون هناك أسباب مرضية بالطبع ، وقد أمكن الوصول إلى حقائق على جانب كبير من الدقة والأهمية تتصل بطبيعة النتائج المتوقعة عند وجود زيادة أو نقصان فى هرمون غدة بالذات .

وهناك العديد من الدراسات التى أجريت على بعض الغدد التى توصلت إلى نتائج هامة ، هناك مثلاً ، الغدتان المعروفتان بغدتى الطفولة ، وهما الغدة « التيموسية » وتقع فوق القلب ، والغدة « الصنوبرية » وتقع خلف النخامية بأسفل الدماغ ، ومن المعروف أن هاتين الغدتين تتعرضان للضمور قبل مرحلة المراهقة ، الأمر الذى يتيح الفرص أمام غدد الجنس كى تنشط وتؤدى عملها ، أما إذا لم تضمر هاتان الغدتان فى السن المناسبة ، فإن الفرد يظل برغم نموه الجسمى ، كالطفل فى سلوكه وتصرفاته ، فيكون ضعيف الإرادة رفيع الصوت . لكن قد يحدث أيضًا أن تضمر هاتان الغدتان فى سن مبكرة مما يتيح

الفرصة أمام غدد الجنس كي تعمل في وقت مبكر وقبل السن المألوفة وعندئذ يحدث النضج الجنسي المبكر.

وهناك أيضًا الدراسات التي أجريت على الغدة «الدرقية» وتوجد في مقدمة الجزء الأسفل من الرقبة، ووظيفتها تخزين مادة اليود وإفراز هرمون الثيروكسين الذي يؤثر في عمليات النمو وعمليات الهدم والبناء، كما أنها تؤثر وتتأثر بإفراز غيرها من الغدد الصماء وخاصة الغدة النخامية. والاضطرابات التي تصيب وظيفة الغدة «الدرقية» تكون إما بنقص إفراز هذه الغدة أو زيادته، والأشخاص الذين يعانون من نقص إفراز «الدرقية» يكونون أميل إلى الخمول والبلادة والغباء وكأنهم في سبات عميق. كما أنهم من النوع المكتئب المتبرم كثير الشك، أما الأشخاص الذين يعانون من زيادة إفراز «الدرقية» فيلاحظ عليهم الميل إلى زيادة التوتر العصبي وشدة الاستثارة والقلق، كما تزداد لديهم شدة استجابة الجهاز العصبي المستقل، فيكون الفرد كثير الحركة زائد النشاط لا يستقر له قرار ويكاد يكون في حالة توتر مستمر.

وإذا كان ما يعترى إفراز «الدرقية» من نقصان أو زيادة يؤثر في الحالة الانفعالية فإن العكس أيضًا صحيح، فقد كشفت الدراسات أن التوتر الانفعالي المستمر يؤدي إلى تضخم «الدرقية» وزيادة إفرازها يزيد بدوره شدة الانفعال وحدته. وكذلك قد يؤدي الانهباط المزمن إلى خفض نشاط الغدة الدرقية.

وليس من شك أيضًا أن الغدد التناسلية لها تأثير واضح على سلوك الفرد وشخصيته ، وغدد التناسل هما الخصيتان عند الذكر ، والمبيضان عند الأنثى ، وعمل الغدد التناسلية محكوم بهرمون النمو الجسمي الذى يفرزه الجزء الخارجي للغدة النخامية ، ولابد أن يكون إفراز هرمونات الغدد التناسلية منتظماً من البداية ، لكي يتطور الفرد نحو جنسه الطبيعي . أما إذا اختلت نسبة إفراز هرمونات الغدد ، فمن المحتمل حدوث مضاعفات فسيولوجية ونفسية لدى الفرد ، فمثلا يتسبب عن ضعف الهرمونات الذكرية عند الذكر إلى تخلف ظهور الصفات الجنسية الثانوية التى تتمثل فى خشونة الصوت ، ونبت الشعر فى مواضع مختلفة من الجسم ، وإلى تأثر الصفات السيكولوجية كالميل إلى الاستقلال ، والميل إلى العدوان ، وحب الزعامة والميل إلى المخاطرة ، والميل نحو الجنس الآخر . ويقال نفس الشيء عن الأنثى التى يضطرب لديها هرمون الغدد التناسلي .

وفى ضوء ما تقدم نكون قد أوضحنا المحدد الأول من محددات الشخصية ونعنى به، المحدد البيولوجى بجوانبه المختلفة التى تتمثل فى النواحى الوراثية ، والأجهزة العضوية ، والتكوين البيوكيميائى والغددى للفرد . ولكن الشخصية لا تخضع لمجموعة العوامل البيولوجية وحدها ، بل هناك مجموعة أخرى من العوامل ، ليست أقل تأثيراً ووضوحاً فى تكوين الشخصية ونعنى بها العوامل البيئية الثقافية والاجتماعية .

ثانيا : المحددات البيئية

(ا) **البيئة الثقافية والاجتماعية** : وإذا كانت التكوينات البيولوجية للفرد تحدد إلى درجة كبيرة شخصية الفرد وتجعلنا على يقين من القول بوجود فروق فردية واضحة ملحوظة فى النواحى العقلية ، والجسمية ، والمزاجية ، وتؤثر بدورها تأثيرًا ملحوظاً فى نمو شخصية الفرد ، فإن الشخصية ليست شيئاً ثابتاً لا يقبل التغير منذ الولادة ، فمن الخصائص الأساسية للإنسان قدرته على التغير نتيجة ما يمر به من خبرات وتعلم ، وإذا كان سلوك الحيوان يتحدد إلى درجة كبيرة بغرائزه بحيث لا نحتاج إلى معرفة الشيء الكثير عن تاريخ حياة الحيوان من أجل التنبؤ بسلوكه ، فإن الأمر يختلف بالنسبة للإنسان حيث نحتاج إلى معرفة تفصيلية عن خبرات الفرد الماضية وبيئته وثقافته التى نشأ فيها من أجل الحكم على سلوكه ونمو شخصيته ، وبدون هذه المعرفة يتعذر علينا فهم حتى أبرز الخصائص فى شخصية الفرد .

وفى ضوء ذلك يتضح لنا أنه من المتعذر علينا تفسير سلوك الفرد ونمو شخصيته دون أن ندخل فى الاعتبار البيئة التى نشأ فيها سواء كانت هذه البيئة طبيعية أو ثقافية ، أو اجتماعية . ولذا يتعين علينا أن نشير باختصار إلى كل منها ، أما البيئة الطبيعية فيتضح أثرها إذا نظرنا إلى اختلاف أساليب تكيف الناس ومعيشتهم وطرق مواجهتهم للحياة فى البيئات المختلفة .

فعلى الرغم من تشابه الناس فى حاجاتهم ودوافعهم الأساسية فإننا نلاحظ أن ثمة اختلافاً واضحاً بينهم فى طرق مواجهتهم وإشباعهم لهذه الحاجات ، فبدو الصحراء والأسكيمو فى المناطق القطبية ، هم إلى حد بعيد نتاج هذه البيئات الطبيعية المختلفة ، فنمو أجسامهم وطرق معيشتهم وأساليب حياتهم تأثرت إلى حد بعيد بالبيئة الطبيعية المحيطة بهم .

أما البيئة الثقافية فلها تأثيرها الواضح أيضًا فى نمو الشخصية ، فأثر الثقافة فى تكوين الشخصية لا يمكن إنكاره والبيئة الثقافية أو الحضارة التى تنبع من البيئة تعد فى نظر البعض العامل الأساسى فى تشكيل الشخصية بالمعنى الدقيق ، فبدون الحياة الثقافية لا يكون لدينا أفراد بل كائنات حية عضوية ، وعملية التطبيع الاجتماعى التى تبدأ داخل الأسرة ، هى التى تحول الفرد من كائن حى بيولوجى ، إلى كائن حى اجتماعى يعيش فى مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به .

فالشخصية لا يمكن إذن عزلها عن الإطار الثقافى الذى نشأت فيه بنوع من الجراحة التى تقضى على حياة الفرد .

والبيئة الاجتماعية لها دورها أيضًا فى تنمية شخصية الفرد ، فالمجتمع الإنسانى ، هو عادة جماعة منظمة تعيش فى مكان معين وتشترك فى مجموعة من الاتجاهات والميول وأنماط السلوك والأهداف . وتعتبر الجماعة الإنسانية الاجتماعية بالنسبة للفرد إحدى النقاط الهامة فى نمو شخصيته .

فالمجتمع هو الوسط الغذائى الذى ينمو فيه الفرد وتنمو فيه شخصيته بالتدريج .

ولنقف وقفة قصيرة عند الثقافة لنتبين أثرها فى نمو الشخصية وتشكيلها ، فالثقافة التى يعيش فيها الفرد وينمو خلالها تؤثر تأثيرًا واضحًا فى تكوين شخصيته ، فالأسترالى المولد تختلف شخصيته عن شخصية الأمريكى ، وشخصية أبناء فرنسا تختلف عن شخصية المستوطنين الفرنسيين فى كندا مثلاً ، وحتى الاختلافات فى الثقافات الفرعية من شأنها أن تحدث اختلافات واضحة بين الأفراد ، فشخصية نجوم السينما تختلف عن شخصية العلماء الذين يكرسون حياتهم للعلم داخل جدران المعامل ، على الرغم من انتمائهم جميعاً لمجتمع واحد .

وقد عرفت الثقافة تعريفات كثيرة منها أنها نتاج إنسانى للتفاعل الاجتماعى بين أفراد مجتمع من المجتمعات ، وتوفر أنماطاً اجتماعية عامة ومقبولة يستجيب الأفراد فى ضوئها لحاجاتهم البيولوجية والاجتماعية ، وهى تنتقل من جيل إلى جيل فى المجتمع ، وتتراكم عبر الأجيال نتيجة هذا الانتقال ، كما تكون محملة بالمعانى التى يعبر عنها الأفراد بلغتهم بما فيها من رموز ، ولذلك فالثقافة ليست فطرية وإنما يكتسبها الفرد من سياق نموه وسط الجماعة .

ولذا فهى أساس يؤثر فى تكوين شخصية كل فرد ينمو وسط هذه الجماعة ، وتعتمد فى وجودها واستمرارها على استمرار المجتمع وإن كان

هذا الوجود وهذا الاستمرار لا يتوقفان على وجود فرد بعينه أو جماعة بعينها ، فالثقافة هى أسباب الحياة المختلفة التى توصل إليها الإنسان عبر التاريخ ، والتى توجد فى وقت معين والتى تكون أساليب إرشاد وتوجيه لسلوك الأفراد فى المجتمع .

فالثقافة هى بلا أدنى شك من محددات عضوية الجماعة ، بل هى أهم هذه المحددات جميعاً ، إن العلاقة المتبادلة بين الثقافة وتكوين الشخصية علاقة وثيقة ، وهى تتم من خلال عمليات التفاعل بين الأفراد بعضهم وبعض وتفاعلهم مع البيئة التى يعيشون فيها ، والأفراد لا تنمو شخصياتهم إلا فى محيط ثقافى ، وعن طريق اكتساب الأفراد للنظم والعادات والتقاليد التى تسود المجتمع الذى يعيشون فيه ، وإذا كانت أساليب السلوك المكتسبة هى التى تسود حقيقة ، فإن عمليات الاكتساب هذه تأخذ صورة التطبيع الاجتماعى أو التثقيف الاجتماعى ، أى صورة إحداث تكامل بين الفرد ونمط الثقافة السائد فى مجتمعه . . ويعد المحيط الأسرى الذى يلعب دوراً هامًا فى مراحل الطفولة المبكرة ، أحد العوامل الهامة فى عملية الانتقال هذه

وعملية التطبيع الاجتماعى هى العملية التى بواسطتها ينتقل الفرد من كائن حى بيولوجى إلى كائن حى اجتماعى يعيش فى مجتمع يؤثر فيه ويتأثر به ، فعملية التطبيع الاجتماعى إذن ، هى عملية تكوين الشخصية الإنسانية ذات الطابع المعين العام والخاص ، وهذه الشخصية الإنسانية

يختلف تكوينها واتجاهاتها وقيمتها من ثقافة إلى أخرى حسب مكونات هذه الثقافة وأنماطها ، فلكل مجتمع نموه التاريخى وأنماطه الثقافية العامة ، وقيمه وحاجياته ومطالبه ، كما تختلف المجتمعات بعضها عن بعض حسب مستويات التعقيد أو البساطة مما ينعكس أثره بالتالى على شخصية الأفراد ففى المجتمعات البدائية تكون أساليب التنشئة الاجتماعية بسيطة وسهلة وواضحة ، تقوم على التقليد والتلقين أكثر مما تقوم به على التمييز والتفكير والاختيار ، أما فى المجتمعات المعقدة ، فإن عملية التنشئة الاجتماعية تكون معقدة كذلك نظرًا لتعقد المعايير والقيم والعادات وأساليب الحياة المختلفة والمهارات الأساسية التى يجب على الفرد أن يتعلمها لتحقيق أهداف المجتمع وقيمه ومعاييره .

فالشخصية الإنسانية تُفهم أيضًا فى ضوء الإطار الثقافى الذى يعيش فيه الفرد وفى ضوء التفاعل المتبادل بين الفرد والمجتمع واعتماد كل منهما على الآخر ، ومن الواضح أن المنظمات التى تقوم على تنشئة الطفل تتحدد فى عمليات التنشئة الاجتماعية بالشكل الدقيق الذى تشكل فيه خبرات الطفولة عادة بطريقة ثابتة ، فالطفل يواجه عادة بالعديد من مشكلات التكيف والتوافق مع البيئة ، فهناك المشكلات التى تتصل بحماية الذات والإبقاء عليها ، فكل طفل يجب أن يتغذى وأن يلقى العناية من المحيطين به ، وأن يُجنب الخطر والألم ، والطريقة التى تشبع بها هذه الحاجات تؤثر فى نظرته للعالم والأشياء الموجودة فيه : هل هى مصدر

خطر وقلق أم أنها ليست كذلك . ثم هناك أيضًا مشكلات المحبة ، فكل طفل محتاج لأن يُحِب وأن يُحَب ، وهو أحياناً يتحمل بعض ألوان العقاب من أجل أن يحتفظ بمحبة الآخرين له ، ثم هناك أيضًا المشكلات التى تتصل بالكفاية أو المقدرة كالنجاح فى اكتساب عادات حركية مختلفة ، ثم هناك مشكلات الشعور بتقدير الذات ومشكلات الضبط والتحكم وغيرها .

وكل ثقافة لها معايير للسلوك تهتم أن ينشأ الطفل وفقاً لها ، ومع ذلك تتحدد المشكلات الكبرى التى تواجه الطفل والطريقة التى يمكنه بواسطتها حل هذه المشكلات ، ومعايير السلوك هذه بأسلوب التنظيم العائلى الذى يمكنه أن يكشف عن أنواع لا حصر لها من التغير.
ومن ثم فإن الأسرة تلعب دوراً هامًا فى نقل الثقافة وفى تنمية شخصيات أبنائهم .

(ب) **الأسرة** : من الأمور الأساسية فى دراسة الشخصية معرفة الشىء الكثير عن الأسرة التى نشأ فيها الفرد ، والتى تعكس عليه ثقافة المجتمع الذى نشأ فيه ، وذلك قبل أن نفسر تفسيرًا صحيحاً لماذا كشف هذا الفرد عن هذه الخصائص ، وهذه السمات المميزة له ، فأسرة الفرد تلعب دوراً جوهريًّا فى تشكيل شخصيته ، فهى التى تنمى وتحدد فى العادة الوسائل العديدة لخبراته ، وهى التى من خلالها تتم عملية التطبيع الاجتماعى التى تلعب دوراً كبيراً فى تشكيل شخصية الفرد .

ويكون عالم الطفل فى بداية الأمر قاصرًا على هذه التأثيرات الهامة الصادرة أساساً من داخل الأسرة ، فهى التى تشكل بالتدريج شخصيته من خلال العديد من الخبرات التى يتلقنها فى هذه البيئة الصغيرة ، ولكن الطفل بدوره — ونتيجة للتفاعل المتبادل بينه وبين الأسرة — يبدأ يحدث أثره فى الأسرة ويعدل من نمط العلاقات القائمة داخلها .

وليست علاقات الطفل واحدة بجميع أفراد الأسرة ، فتأثير الأم لا يعادله تأثير آخر خصوصًا خلال الفترة الأولى من حياة الطفل . ثم يأتى بعد ذلك تأثير الأب والإخوة ، ثم الأقارب والأشخاص من خارج نطاق الأسرة .

ولا يمكننا رسم نمط محدد لعلاقة الطفل بالوالد أو الوالدة أو الإخوة ، كما أن الخبرات الأساسية للطفل الأول ، تختلف بالضرورة عن الخبرات الأساسية للطفل الأخير ، أو الطفل الوحيد ، أو الأنثى مع مجموعة ذكور ، أو الذكر بين مجموعة إناث وهكذا ، وحتى بالنسبة للطفل الواحد يختلف نمط علاقاته بالآخرين باختلاف السن وغيره من العوامل ، فمع تقدم السن بالطفل يصبح تأثير جماعات الرفاق خارج مجال الأسرة أكثر أهمية وبشكل متزايد ، وقد يفوق تأثير هؤلاء تأثير لآباء أحياناً ، فالأهمية النسبية لكل من الأم والأب والآخرين ، تختلف باختلاف مرحلة النمو وباختلاف الجنس والسن .

وقدر كبير من معرفتنا عن نمو شخصية الفرد يرجع إلى « فرويد » فمن

خلال أساليب التحليل النفسى التى تتضمن التداعى الحر ، وتحليل الحلم وغيرها ، تمكن « فرويد » من سبر غور لا شعور شخصيات مرضاه ، وأن يعيد بناء تاريخها الماضى .

وليس من شك فى أن خبرات الطفولة — على نحو ما أوضح فرويد — يكون لها أثرها الواضح ، وانطباعاتها الغائرة على شخصية الفرد بعد ذلك ، بل إنه يكون من الصعب أحياناً على الخبرات التالية أن تحدث فيها تعديلاً جوهريًّا فى بعض الأحيان ، فالطفل الذى يبدأ ينظر لنفسه على أنه غير مرغوب فيه ، أو على أنه منبوذ من أفراد الأسرة ، قد يجد من الصعوبة بمكان تغيير نظرته لنفسه بعد ذلك ، حتى ولو مر بخبرات عديدة مغايرة فى الكبر ، فالخبرة المبكرة تكون ذات تأثير بارز أحياناً فى نمو شخصية الفرد ، كما أن حدود ومحتوى هذه الخبرات يتحدد إلى درجة كبيرة عن طريق الأسرة ، وعن طريق الأسرة يشبع الطفل حاجاته النفسية إذا أريد له أن ينمو نموًّا نفسيًّا سويًّا ، فكما تعتبر التغذية والظروف الصحية الملائمة أمراً ضروريًّا ولازماً لنمو الجسم السليم ، فكذلك تعتبر الخبرات النفسية المناسبة أمرًا ضروريًّا ولازما لنمو الشخصية السويّة المتكيفة ، فالطفل يواجه فى المنزل أولا المواقف التى قد تؤدى إلى ظهور التوتر ، كما أنه يتعلم فيه أيضًا كيفية مواجهة هذه المواقف ، وكيف يُعمل على خفض حدة التوتر .

والرعاية المعقولة التى ليس فيها إفراط أو تفريط يكون لها أثر واضح

فى تنمية شخصية الطفل بصورة متوافقة ، أما الطفل الذى يلقى المزيد من التدليل ، أو الذى يلقى المزيد من الإهمال والنبذ ، فإنه يكون أكثر تعرضًا لمشاعر القلق وعدم الطمأنينة .

وطالما أن الطفل يحتاج إلى قدر معقول من الرعاية النفسية والبدنية من الوالدين ، فإن المنزل يُعتبر فى هذه الحالة أحد المحددات الهامة فى نمو شخصية الطفل ، فالأسرة تكون فى مركز رئيسى يدعم أو يهدد مشاعر الطفل بالطمأنينة ، فإذا كانت ظروف البيت من النوع الذى يدعم توافق شخصية الطفل بدرجة مناسبة ، فإن الطفل يسير فى سبيل النمو السليم . أما إذا عجز المنزل عن أن يقدم للطفل الاستجابات الانفعالية المناسبة والشعور بالأمن ، فسوف يُنمى عنده أساليب دفاعية يكون الهدف منها أحياناً التغلب على مشاعر القلق ، وعدم الأمن كالكبت والتبرير والإسقاط وغيرها ، ومن الممكن القول بأن الطفل الذى لم يتعلم الحب فى المنزل ، يستحيل عليه أن يصدق الآخرين أو أن يثق فيهم ثقة تامة ، فهو قد أوذى وتعرض للألم ولا يريد أن تتكرر معه مثل هذه الخبرات المؤلمة ، فمن لدغ مرة يخاف العقارب بعد ذلك .

ولقد أشار علماء النفس إلى أسلوب معاملة البيت والنمط المقابل فى شخصية الطفل وسلوكه ، فالنبذ كأسلوب من أساليب المعاملة الوالدية من شأنه أن يخلق شخصية عدوانية سيئة التوافق ، لديها مشاعر عدم الطمأنينة ، خانعة سادية ، أما الرعاية الزائدة على الحد ، فمن شأنها أن

تخلق شخصية طفلية انطوائية ، ليست لديها القدرة على تحمل المسئولية ، تعانى من صعوبات التوافق ، والآباء المسيطرون ، قد يؤدى سلوكهم إلى طبع شخصيات أبنائهم بطابع الخنوع ، فيكون من النوع الاتكالى ، الخجول ، المؤدب جداً . أما الآباء المتقبلون لأبنائهم ، فقد يطبعون شخصيات أبنائهم بطابع المتقبل للناس اجتماعياً ، المتوافق ، الواثق فى المستقبل .

وليس أدل على أثر سلوك الوالدين فى شخصية الأبناء ، مما نراه فى أحيان كثيرة من أن الأبناء غير المتوافقين نفسياً يأتون من بيوت منهارة غير متوافقة ، وبيوت كان فيها الصراع أو الاحتكاك مستمراً بين الأبوين ، أكثر مما يأتون من بيوت كانت فيها العلاقات طيبة بين الآباء .

وعندما يكون جو المنزل من النوع الذى يكثر فيه النزاع والشقاق ، فإن الطفل غالباً ما يوزع ولاءه بين الأب والأم ، وفى معظم الأحيان لا يكون ثمة تعاون بين الآباء فيما يتصل بالأمور الحيوية التى يجب تدريب الطفل عليها ، وقد يتعلم الطفل استغلال أحد الوالدين ضد الآخر أو قد يهملها معاً ، وفى أغلب الأحيان يكون الأبوان فى حالة توتر انفعالى مما يجعل تصرفاتهما تتسم بالرعونة والحمق ، ويجعل أسلوب كلامهما مع الطفل فيه جفاء وخشونة ، كما تكون طريقة حديثهما مع الطفل مقتضبة ، ومثل هذا السلوك من جانب الأبوين من شأنه أن يخلق التوتر الانفعالى لدى الطفل ، ومن ثم يعوق إحساسه بالأمن الذى هو حاجة

أساسية لتكامل شخصية الفرد ، والسؤال الذى قد يثير اهتمام القارئ هو إلى أى مدى تظل آثار خبرات الطفولة المبكرة قائمة فى الفرد ؟ لم يجمع علماء النفس بعد المادة الكافية التى تسمح بالإجابة الشافية على مثل هذه الأسئلة . ولكن هناك بعض الأفكار التى تقوم على الحدس ، فقدر كبير من سلوك الإنسان يمكن أن تُستدل عليه من المؤثرات الخارجية ، ومن الظروف التى يعيش فيها أو مر بها ، فإذا ظلت هذه المؤثرات والظروف قائمة وثابتة نسبيا لفترة طويلة من الزمن ، فإن الاحتمال كبير أن يظل سلوك الفرد على قدر من الثبات النسبى كذلك ، فالشخص الذى ولد وتربى فى نفس البيت ومع نفس الأصدقاء وفى نفس المدينة وفى بيئة مستقرة نسبيا ، من المحتمل أن يكشف عن تغيرات أقل فى شخصيته من ذلك الآخر الذى انتقل كثيرًا من مكان لآخر ودفعته ظروفه إلى التوافق مع بيئات كثيرة متعددة ، فالبيئة المستقرة نسبيًّا من شأنها أن تخلق نوعًا من الاستقرار النسبى فى الشخصية .

وبالمثل يعتبر سن الفرد وقت حدوث التغير فى البيئة عاملا هامًّا ، فالاستجابات المتعلمة لفترة طويلة من الزمن تكون أكثر مقاومة للانطفاء والتغير من أنماط السلوك التى مارسها الفرد مرات قليلة نسبيًّا ، وشخصية الرجل ذى الخمسين ربيعًا أقل قابلية للتغير . وأكثر مقاومة له من شخصية المراهق فى الخامسة عشرة من عمره ، وليس معنى ذلك أن رجل الخمسين لا يتغير بالطبع أولا يمكنه أن يغير سلوكه ، إنه يغيره ولكن

التغيرات التي تحدث لا تكون في الأغلب الاستجابات الأساسية المتأصلة والتي أصبحت مميزة لشخصيته .

والطفولة المبكرة والمتأخرة هامة بلا شك بالنسبة لنمو الفرد بعد ذلك على الأقل ، لأنها تكون في أوائل الحياة .

ففي الطفولة يتعلم الطفل أن يتوافق مع بيئته وأن يتفاعل مع الناس . وهذا التعلم يمكن أن يكون ثابتاً ومستقرًا إذا كانت البيئة متماسكة ومنسقة ، وكان الثواب والعقاب يقدمان بنفس الطريقة الثابتة المنسقة الصحيحة ، وجانب كبير من تعلمنا المبكر يكون أيضًا انفعاليًّا ، فبالإضافة إلى المهارات الحركية المتعددة ، نكتسب أيضاً استجابات وجدانية عريضة ، نحب ونكره ، ونكوِّن اتجاهات نحو الأشياء والأشخاص الذين نتعامل معهم ، وتكون هذه الاستجابات الوجدانية المتعلَّمة ، من النوع الذي يقاوم الانطفاء إلى حد بعيد .

وليس من شك في أن عملية التطبيع الاجتماعي للطفل ، تعتبر أحد الوظائف الأساسية للأسرة ، فهي المسئولة الأولى عن تعليم الطفل كيف يسلك ، بحيث يمكنه أن يتكيف مع الثقافة التي يعيش فيها ، والتي تعد الأسرة جزءًا منها . ولتحقيق هذا الهدف ، فإن على الأسرة أن تعلم الطفل متى وكيف يكبت دوافعه الفطرية ، ومتى وكيف يعبر عنها ، فجميع الأطفال مثلا ، يبدون سلوك الخوف ، ولكن الأسرة تبدأ منذ وقت مبكر ، تُعلِّم صغارها كيف يُخفون هذه الاستجابات ، وكيف

يبدونها بشكل مقبول اجتماعيًا .

والأمر بالمثل بالنسبة للعدوان ، وحب الاستطلاع ، ويمكن القول بأن الأسرة هي العامل المسئول عن تنمية نواحي التحكم أو الضبط الكامن في كل طفل ، فعن طريق تعلم الطفل تناول الطعام والإخراج والتعبير عن العدوان والحب وغيرها من الأشياء داخل الحدود التي تفرضها الثقافة ، أن يصل الطفل إلى الحد الذي يمكنه عنده الدخول في الإطار الثقافي للمجتمع الكبير الذي يعيش فيه .

وليس ثمة شك في اختلاف الأسر بعضها عن بعض داخل المجتمع الواحد ، كما أنه ليس من شك أيضًا في اختلاف المجتمعات واختلاف الثقافات ، وهذه حقائق أوضحها علماء الأنثروبولوجيا ، كما أوضحها علماء النفس كذلك ، وبرغم أن تكوين الأسرة واحد في كل مكان ، فإن أسرة الفرد ، هي في العادة التي تحدد نمو شخصيته وترسي أساسها .

ثالثا : الدور

وثمة عامل ثالث يحدث أثره في تحديد شخصية الفرد ، ألا وهو عامل الدور ، وهذا العامل له أهميته في دراستنا طالما أن الدور يشير إلى كل من الفرد والمحيط الاجتماعي الذي يوجد فيه ، فمفهوم الدور يشير إلى أنه لفهم سلوك فرد ما ، يجب أن ننتبه في الوقت نفسه إلى خصائص شخصيته وإلى الموقف الاجتماعي الذي يوجد فيه .

والدور ، هو ببساطة ما يتوقعه المجتمع من الفرد الذى يحتل مركزاً ما داخل الجماعة ، والمجتمع يحدد الأدوار الاجتماعية التى يتوقع من أفراده القيام بها فى حياتهم العادية ، فالأب يُتوقع منه أن يعمل ليعول الأسرة والأولاد ، وأن يرعى أبناءه ويحسن تربيتهم ويوجههم ، ويشرف عليهم فى المنزل وخارجه ، والأم يُتوقع منها أن تقوم بأداء واجباتها المنزلية ، ورعاية الأطفال وتهيئة الجو العائلى الطيب للأسرة ، والابن الأكبر يُتوقع منه أن يساعد أباه فى رعاية إخوته الصغار ، وأن يشارك فى تحمل أعباء الأسرة ، والولد الذكر يُتوقع منه أن يقوم بدور الصبية العاديين ، والبنت تُعد للقيام بدور الأنثى ، وتتعلم شئون المنزل وهكذا .

والطفل عندما يتعلم القيام بدوره فى الأسرة ، إنما يتعلم أيضاً الأدوار الأخرى التى يقوم بها الأب والأم والإخوة الكبار ، فالأدوار متبادلة مع دوره ، وهم فى نظره بمثابة نماذج يقوم بتقليدها ، وتُحدث جميع هذه الأدوار أثرها فى عملية التطبيع الاجتماعى ، وفى عملية التثقيف الذى يحتاج إليه فى حياته بعد ذلك .

ومن الواضح أن للفرد الواحد مجموعة كبيرة من الأدوار فى حياته الاجتماعية ، فالأب مثلا ، بعد خروجه من المنزل والذهاب إلى عمله ، يقوم بدوره كموظف ، أو كعامل ، أو كمهندس ، أو طبيب ، أى يقوم بالدور الذى يتوقعه المجتمع منه فى مجال العمل ، ثم هو حين يعود إلى بيته يقوم بدوره كأب يشرف على تربية أبنائه ورعاية أسرته . ثم هو بعد ذلك

قد يكون عضوًا فى ناد ، أو مشارك فى جمعية من الجمعيات ، فيقوم فى كل منها بالدور الذى يتطلبه منه نشاطه فى هذا النادى ، أو هذه الجمعية ، وهكذا الأم والأولاد ، فحياة كل فرد يمكن النظر إليها على أنها سلسلة من الأدوار المتتابعة التى تربط الفرد بمجموعة من النظم الاجتماعية المختلفة ، ولكن قد يحدث أحياناً صراع وتعارض بين هذه الأدوار المختلفة التى نقوم بها فى حياتنا ، وكثيراً ما نسمع عما يظهر من تعارض أحياناً فى دور المرأة الموظفة ، أعنى ما يتطلبه منها دورها كأم من رعاية أطفالها والإشراف عليهم وعلى تربيتهم ، وبين ما يتطلبه منها دورها فى مجال العمل .

والفرد منا لا يرث دوره فى الحياة وإنما يكتسبه ويتعلمه من خلال حياته وتفاعله مع الآخرين ، إن الطفل حديث الولادة لا يولد مزوداً بذخيرة من الأدوار التى يقوم بها ، وإنما يكتسب أدواره من الحياة خلال عملية نموه وتربيته . .

وجزء هام من عملية نموه وتطبيقه الاجتماعى ، يتلخص فى تعلم كيفية القيام بمجموعة من الأدوار التى سوف تساعده على أن يحدد نفسه ودوره ككائن حى وفرد متميز عن غيره من الأفراد ، فهو يتعلم ليس فقط النواحى المتصلة بعملية التغذية والإخراج ، وضبط العدوان ، والاعتماد على النفس بل ويتعلم أيضًا الكثير من ألوان النشاط التى يتطلبها القيام بهذه الأدوار ، أو بعبارة أخرى يتعلم سلوك الدور ، وليس ثمة شك أن

قدرًا كبيرًا من هذا التعلم إنما يتم داخل جدران الأسرة .

وهذا التعلم ، يتم إما بشكل مقصود ، أو بشكل عارض ، أو عن طريق التقليد . فني التعلم المقصود يحاول حملة الثقافة فى المجتمع نقل أفعال ومعلومات معينة إلى الطفل متخذين من التعليم وسيلة لذلك .

فبعض الثقافات تؤكد ناحية الثواب من أجل حمل الطفل على القيام بالسلوك المرغوب فيه ، على حين يؤكد بعضها الآخر ناحية العقاب من أجل منعه عن القيام بالسلوك غير المرغوب فيه .

أما التعلم العارض ففيه يلتقط الطفل ألواناً من السلوك ويتعلمها ، حتى ولو لم تكن لديه نية تعلمها . أما التقليد فيقتصر على الحالات التى يقوم فيها الفرد عن وعى ومعرفة بتقليد سلوك الدور الذى يريد القيام به وذلك بتقليد شخص آخر كالأب أو الأم أو أى شخص آخر .

وأيًا كانت الوسيلة المتبعة ، فإن الطفل يكتسب من خلالها ألواناً عديدة من سلوك الأدوار المختلفة التى يقوم بها فى حياته . ولعل أول دور يقوم به الفرد داخل الأسرة هو دوره كطفل . ويتحدد هذا الدور بالطريقة التى يتربى بها الطفل . وبالتفاعلات مع الآخرين واستجاباتهم لمظهره وسلوكه . ومع النمو تبدأ أهمية الجنس تتضح فى تحديد الدور الذى سيقوم به فى حياته ذكرًا أو أنثى . كما يتخذ الجنس أهمية كبيرة فى نظر القائمين بتربية الطفل ، بمعنى أنه يلزم أن يسلك الولد كولد . والبنت كبنت . وقد يشغل الآباء أنفسهم بتعليم أولادهم الذكور القيام بدور

الذكور ، والبنات القيام بدورهن كبنات .

وهذا التدريب نفسه يتأثر إلى حد بعيد بمفهوم الآباء أنفسهم لدور كل من الذكور والإناث فى الحياة ، فقد تشيع بعض المفاهيم التى تنعكس آثارها على تربية الآباء للأبناء ، وفهمهم لدور كل من الجنسين ، ففى بعض الثقافات يسود الاعتقاد بأن البنات هن الجنس الأضعف وأنهن الأسرع نضجًا ، وأن الأولاد الذكور أكثر ميلاً إلى العدوان ، وقد تؤثر مثل هذه المفاهيم الشائعة فى نظرة الآباء لدور كل من الجنسين .

وإذا كان الجنس عاملاً محددا للدور الذى يقوم به الفرد فى الحياة ، فهنالك أيضًا عامل آخر هو الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها الفرد . فسلوك دورنا الاجتماعى يتوقف إلى حد بعيد على عضوية الطبقة الاجتماعية التى تنتمى إليها ، وإن كان بعض الأفراد يمكنهم الانتقال من طبقة اجتماعية إلى طبقة اجتماعية أخرى ، نتيجة متغيرات مختلفة تطرأ على حياة الفرد كالتعليم أو الثروة ، وإذا كان المركز الاجتماعى للفرد يتحدد إلى درجة كبيرة فى المجتمعات البدائية بعامل السن والجنس ، فإن الأمر يختلف فى المجتمعات الحديثة ، حيث تلعب عوامل أخرى تعد أكثر أهمية من السن والجنس مثل : الأسرة التى ينتمى إليها الفرد ، وحظها من الثراء أو الجاه ، ونوع العمل الذى يقوم به ، أو حظه من الذكاء ، وما لديه من استعدادات وقدرات .

رابعاً : الموقف

وثمة محدد رابع يلعب دوراً هامًا فى تحديد الشخصية ونعنى به الموقف ، وما أكثر المواقف التى يمر بها فى حياته ، وما أكثر تأثيرها فى شخصيته ، وبالطبع لا يمكن النظر إلى الشخصية كما لو كانت مستقلة عن المواقف التى تمر بها أو توجد فيها ، فحتى العمليات الفسيولوجية تتطلب وجود أجهزة داخلية أو ظروف بيئية ومواقف تتحقق فيها .

فعملية التنفس مثلا تتضمن وجود رئتين داخليتين ، كما تتطلب فى الوقت نفسه وجود هواء خارجى لازم لعملية التنفس ، وبهذه العوامل المتداخلة معاً يتم تحقيق السلوك .

وليس من شك فى أن سلوك الفرد قد يتعدل حسب ظروف الموقف الذى يوجد فيه ، وقد ذهب البعض إلى أن استجاباتنا لاختبارات المواقف أو الاستفتاءات أو أسئلة المقابلة قد تختلف حسب ظروف الموقف ، فلو أن سؤالا مثل : « هل تحب مخالطة الغرباء ؟ » قد وجه لشخص متقدم لشغل وظيفة تتطلب حسن التعامل مع الناس ، فقد يجيب بالإيجاب لا لشىء إلا للحصول على الوظيفة ، فى حين أنه قد يجيب بالنفى لو أن نفس هذا السؤال قد وجه إليه من طبيب نفسى يقوم بمعالجته لأن الغرباء يثيرون فى نفسه القلق والاضطراب ، ويجعلونه يحس بمشاعر النقص ، وهناك حقائق يمكن النظر إليها عند دراسة محددات الموقف .

الحقيقة الأولى : أن معظم الناس عندما يُواجَهون بمواقف غريبة عليهم . يميلون إلى التحفظ فى السلوك أو الانسحاب ، وبعبارة أخرى إلى تجنب اتخاذ موقف إيجابى نشط ، أما فى المواقف المألوفة فإنهم يكونون عادة أكثر فعالية ونشاطًا وتعبيرًا عن أنفسهم ، وفى ضوء هذه الحقيقة نحن نميل إلى تحقيق ذواتنا ، وإذا عجزنا عن ذلك ، على نحو ما قد يحدث فى المواقف الغريبة ، فإننا نميل إلى الانسحاب .

الحقيقة الثانية : أن صغار الأطفال « مَوْقِفِيُّونَ » أكثر من الكبار ، فهم يَحيون الموقف المباشر الذى يمرون به ، فهم فى حالة مرحهم يمرحون بصخب ، وفى حالة خوفهم يخافون بشدة ، كل ذلك حسب المواقف المباشرة ، وكأنهم يفتقرون إلى « الشخصية الداخلية » حين يمرون بمثل هذه المواقف . ومن الواضح أن الكبار عامة أقل خضوعًا للموقف من الأطفال .

الحقيقة الثالثة : أن معظم الناس يقومون بدور كبير فى خلق المواقف التى يستجيبون إليها ، فالشخص الذى يحب الحفلات والاجتماعات ، يسعى إلى عقد هذه الحفلات والاجتماعات ، وقد يفسر مرحه وسروره بأنه نتيجة للموقف ، ولكن أليس الموقف نفسه نتيجة لعوامل تتصل بشخصيته هو أيضًا ؟ وباختصار ، فإن المواقف التى نجد أنفسنا فيها غالباً ما تكون نتيجة مباشرة لشخصياتنا .»

لكن هل يمكن تحديد مقدار ما يرجع من السلوك إلى « الشخصية

الداخلية » ومقدار ما يرجع منه إلى « الموقف الخارجى » ، وإخضاع ذلك إلى الدراسة العلمية ؟ لنفرض أننا جمعنا مجموعة من الناس فى مكان واحد ، وأعطيناهم عملا مشتركًا للقيام بأدائه ، فإننا نلاحظ ميل البعض إلى تزعم الجماعة وقيادتها ، وميل البعض الآخر إلى اتخاذ موقف التبعية ، فهل القيادة والتبعية هنا ترجع إلى سمات مُعيّنة فى الشخصية ، أم هى نابعة من الموقف الذى يوجد فيه الفرد ؟

لاشك أن الشخصية الداخلية ، هى بالطبع شرط للقيادة والزعامة بالنسبة للفرد . فالأذكياء حسنو التكيف ، والذين يسهل عليهم الاندماج مع الآخرين ، هم أكثر ميلا إلى أن يصبحوا قادة فى الجماعة ، ويدعم هذا القول وجود سمات أخرى مثل : السيطرة ، والذكورة ، وغيرها ، وبرغم نظرتنا إلى مثل هذه الاتجاهات على أنها اتجاهات صحيحة ، فإنها ليست لها صفة العمومية بحال من الأحوال ، « فالشخصية الداخلية » هى أحد العوامل المحدد للقيادة ، ولكنها ليست بالتأكيد العامل الوحيد ، فالموقف الذى يوجد فيه الفرد يلعب دوراً هامًا فى سلوكه ، فقد يكون الفرد قائداً فى موقف ، تابعًا فى موقف آخر برغم توافر شروط القيادة لديه فى كلا الحالين ، وفى المواقف غير المتشكلة كالمناقشات المفتوحة مثلاً – فإن سمات الشخصية تكون أكثر وضوحاً فى تحديد الدور الذى يقوم به الفرد ، أما فى المواقف التى تتصل بمشكلات فنية أو ميكانيكية مثلاً ، فإن دور السمات الشخصية يكون أقل فى هذه

الحالة ، إذن يلزم معرفة محددات الموقف إلى جانب معرفتنا لسمات شخصية الفرد من أجل أن يكون التنبؤ بالسلوك أكثر دقة .

تلك هي محددات شخصية الفرد ، وهي المحددات التكوينية ، والمحددات البيئية والاجتماعية ، ومحددات الدور ، ومحددات الموقف ، ولكن هذه المحددات لا تعمل مستقلة إحداها عن الأخرى ، بل تعمل متوافقة إحداها على الأخرى ، فهناك ارتباط واضح بين هذه العوامل بعضها وبعض ، وهذا الارتباط يتضح لنا فى عديد من الأمثلة التى نكتفى بالإشارة إلى بعضها .

فالعلاقات بين المحددات الثقافية والدور والمحددات التكوينية ، تتضح حين نلاحظ مثلا أن الطفل فى كل مجتمع يتطبع اجتماعيًّا بصورة مختلفة حسب جنسه ذكرًا أو أنثى ، وكذلك حسب سنه .

ومن هنا نجد تمايزات واضحة بين شخصيات الرجال والنساء من ناحية ، وبينها وبين شخصيات الصغار والكبار من ناحية أخرى .

ثم إن الارتباط واضح أيضًا بين المحددات التكوينية وكل من عضوية الجماعة ومحددات الموقف ، فبرغم أن التوائم المتشابهة ، قد تختلف بدرجة قليلة جدًّا من الناحية التكوينية والبيولوجية ، وأنها تشارك فى أنشطة الجماعة التى تبدو متشابهة فى الظاهر ، فإن العامل الموقفى قد يُحدث آثارًا مختلفة فى خبرات كل منها ، وفى تفاعله الاجتماعى مع الجماعة . فلو أن أحد التوءمين فصل عن أخيه لسبب أو لآخر ، ونشأ فى

بيئة تختلف كثيرًا عن بيئة أخيه ، ولقى تعليماً مدرسيًا عالياً ، فى حين حرم الآخر من هذا القدر من التعليم ، فإن الاحتمال كبير أن نجد اختلافاً واضحاً بينهما فى خبراتهما برغم تقاربهما فى النواحى التكوينية والذكاء .

نمو الشخصية

فكرة المراحل فى نمو الشخصية :

تذهب بعض النظريات إلى وجود تتابعات ومراحل متميزة فى نمو الشخصية ، ويعتبر البحث عن أحداث رئيسية أو بارزة فى أزمنة مختلفة من حياة الفرد ، بمثابة الخاصية المميزة لهذه النظريات ، ونحن نرى مثل هذه النظرة واضحة فى فكرة « فرويد » عن النمو « النفسى — الجنسى » ابتداء من المرحلة « الفمية » إلى المرحلة « التناسلية » مروراً بالشرجية والقضيبية ، ويؤكد « فرويد » أهمية التغيرات البيولوجية تلك التى تحدث فى المناطق « الشبقية » كمصدر للصراع فى نمو الشخصية ، وهناك باحثون آخرون يؤكدون فكرة المراحل هذه فى النمو « النفسى — الاجتماعى » على نحو ما يذهب « أريكسون » (١٩٥٠) فى دراسته للمظاهر والأزمات فى نمو العلاقات الإنسانية المتبادلة ، وفى « النمو المعرفى والعقلى » على نحو ما يذهب « جان بياجيه » (١٩٦٠) وفى النمو « الخلقى » على نحو ما يذهب « كوهلبرج » (١٩٦٩) .

ويمكن أن تسير دراستنا لنمو الشخصية فى اتجاهين يكمل أحدهما الآخر :

الاتجاه الأول : يركز على وصف التغيرات التى تطرأ خلال فترة زمنية معينة ، بالنسبة لخصائص أو تراكيب معينة ، وذلك على نحو ما تفعل النظرة الوصفية أو الشكلية فى النمو .

الاتجاه الثانى : يركز على دراسة الظروف الواقعية التى تؤثر فى اكتساب ونمو هذه الخصائص والتراكيب .

إن الاتجاه الأول يهتم أساسا بوصف التراكيب ونموها وتطورها والتغيرات العادية التى تطرأ عليها خلال مراحل نمو الفرد ، وهذه التغيرات ينظر إليها عادة على أنها تحدث بطريقة منتظمة وليست بطريقة عارضة ، كما أنها يمكن أن تصنف وفق مراحل منتظمة كذلك ، وبرغم وجود فروق فردية واضحة بين الأفراد فى سرعة ونمط التغير ، فإن جميع الأفراد يمرون بنفس المراحل .

ويمكن أن نوضح هذا الاتجاه بأمثلة فى مجال الدراسات النفسية ، ومن دراسة الكثير من العمليات ، كظهور العمليات الإدراكية والذهنية والحركية وتطورها ونمو الذكاء ونمو أساليب التكيف وغيرها ، ويمكن أن نشير فى هذا الصدد إلى الدراسات التى قام بها « هاينز فرنر » و « جان بياجيه » وغيرهما ، فقد ذهب « فرنر » فى دراسته للنمو المعرفى إلى أنه يسير من العمومية والإبهام إلى زيادة التمايز والتخصص ، حتى يصل إلى درجة عالية من التكامل ، وقد قام « بياجيه » بالعديد من الملاحظات والتجارب البسيطة على الأطفال ودرس الكثير من الأفكار التى تدور

بذهن الطفل ، كما درس تطورها مع تقدم السن ، فدرس فكرة الزمان والمكان والعلية وغيرها ، ولاحظ مثلا ، أن الطفل يعتقد من مشاهداته للقمر ، أن القمر يسير معه حيثما سار مما يشير إلى نوع من الخلط بين الذات والموضوع الخارجى ، كما لاحظ أيضًا أن الطفل فى مرحلة من مراحل نموه ، يمكنه أن يميز تمييزًا صحيحًا بين يمينه وشماله ، ولكنه لا يمكنه أن يحكم حكماً صحيحًا على يمين أو شمال شخص آخر يقف تجاهه ، فالطفل فى المراحل الأولى من النمو لا يستطيع أن يفصل بين ذاته والأشياء الأخرى ، ويتصور نفسه يدور فى المكان ، فإدراك الطفل وفهمه للمكان إذن هو من النوع الذاتى المركز.

فالاتجاه الأول : يتميز إذن بالبحث عن التتابعات النمائية المنتظمة لعمليات النمو دون محاولة للكشف عن الأسباب أو العلل التى أدت إلى حدوثها أو الظروف التى تحدث فيها.

أما الاتجاه الثانى : فقد أتى ليكمل الاتجاه الأول ، فهو يهتم أساساً بدراسة الظروف والعوامل المؤثرة فى عملية النمو والاهتمام بمحددات هذا النمو.

ويمكن أن نوضح بمثال مستمد من نظرية « فرويد » الفرق بين الاتجاهين والارتباط بينهما :

تعتمد نظرية « فرويد » من الناحية الوصفية أو الشكلية على وجود مراحل نمائية عامة للغريزة يمر بها كل فرد ، ويستدل عليها من أنماط

السلوك التى يكشف عنها الطفل خلال السنوات الأولى من حياته ، ويسير هذا النمو بشكل عادى ويمر بمراحل منتظمة على نحو ما هو معروف لنا جميعاً .

ولكن « فرويد » لم يقف عند حد الوصف بل وجه اهتمامه إلى بعض العوامل والظروف الاجتماعية التى يمكن أن تعوق أو تحرّف هذا المسار الطبيعى للغريزة ، فالتدليل الزائد على الحد خلال مراحل النمو قد يكون له آثاره الضارة على النمو النفسى للطفل ، وبالتالى على نمو شخصيته ، فإذا استمرت الأم مثلاً ، فى طريق التدليل الزائد بإشباع حاجات الطفل النفسية عن طريق الاستمرار فى الرضاعة إلى ما بعد السن الذى كان من المفروض أن تتوقف عنده الرضاعة بوقت طويل ، فإن تقدمه ونموه وانتقاله إلى المراحل التالية يمكن أن يعاق ، وقد يكون لهذه الإعاقة مصاحبات نفسية معينة تظهر آثارها واضحة فى سلوك الفرد وفى شخصيته .

فهذا الاتجاه الثانى لا يتوقف إذن عند حد وصف التغيرات التى تطرأ على الفرد ، بل يحاول ردها إلى عواملها العلية وإلى محدداتها التى تؤثر فيها ، سواء كانت هذه المحددات تكوينية أو بيئية أو اجتماعية .

ومن المعروف بشكل عام أن محتوى وتنظيم الشخصية قد يختلف اختلافاً جوهرياً فى مراحل مختلفة من النمو ، فتفكير طفل الثالثة واعتقاداته وقيمه ، ومهاراته ، وميوله ، تختلف عنها فى سن الأربعين

مثلا . حقيقة إن الطفل هو أب الرجل ، ولكن ما يفعله الفرد وما يكون عليه ، يتغير مع النمو .

ولذا كان من الضرورى أن ندرس حياة الفرد فى مواضع مختلفة من الزمن ، حيث تبرز أحداث وأزمات معينة ، وأن تقدر طبيعة الثبات والتغير النسبيين اللذين نلحظهما عبر السنين .

وسوف نركز فيما يلى على أهم المواقف والأحداث التى تظهر خلال مراحل نمو الشخصية منذ الولادة حتى الرشد :

أولا : فى الطفولة المبكرة

١ – اعتماد الطفل على (الغير) : إن الشىء الأكثر وضوحًا فى حياة الكائن البشرى ، هو اعتماده الكامل على (الغير) فى طفولته المبكرة ، فالوليد يخرج من الرحم مخلوقاً يتوقف بقاؤه على الرعاية الطويلة المستمرة التى يقدمها له الآخرون ، فالطفل فى المراحل الأولى من حياته لا يستطيع أن يشبع حاجاته ، ويعتمد على من حوله للحصول على هذا الإشباع وتخفيف الألم عنه ، ولكن برغم أن الطفل لا يمكنه أن يرعى حاجاته بنفسه ، فإن ثمة استجابات تكون ذات فائدة بالنسبة له ، فهو يتفحص بيئته ويبكى ويصرخ ويرضع ويبتسم ويتقلب فى فراشه ويناغى ، وبعض هذه الاستجابات تحدث تأثيرات ملحوظة فى البيئة على نحو ما يتضح فيما يفرضه الطفل على أمه أحياناً من ضبط وتحكم يصل إليه عن طريق البكاء ، فبينما يعجز هو نفسه عن إشباع حاجاته الأولية بطريقة مباشرة ، إذ به يتعلم أن يستدعى ، وأن يؤثر فيمن يقوم برعايته ، وأن تكون العلاقة بينهما علاقة تفاعل متبادل أكثر منها علاقة تأثير أو تأثر من جانب واحد .

٢ – موقف التغذية : وفى خلال حياة الفرد ، يدخل الكائن الحى العضوى فى علاقات متبادلة مستمرة مع البيئة يغير كل منهما فى الآخر وبشكل ملحوظ ، ويمكن أن نلحظ المرونة الظاهرة فى السلوك

والحساسية الزائدة للتغيرات البيئية فى أنشطة التغذية لدى الطفل إذا أمكن تحليلها بدقة .

فالأم عادة ، هى التى تمد الطفل بالغذاء لإشباع حاجاته البيولوجية ، فهى التى تطعمه وتسقيه ، وهى التى تغير له ملابسه حين تبتل ، وهى التى تحتضنه وتدلله ، وهى التى تتحدث إليه وتناغيه ، ويذهب « أريكسون » إلى أن العلاقة التى تنمو بين الطفل والأم فى خلال هذه الفترة تعتبر بمثابة النموذج الأول لإحساس الطفل بالثقة الأساسية وأنها أساس النمو بعد ذلك ، وقد أعطت نظرية التحليل النفسى فى حديثها عن المرحلة الفمية ، أهمية كبيرة لدور الشفتين واللسان والفم كمناطق شبقية ، وكذلك للذة الثانوية للمص والبلع فى علاقتها بالتغذية .

وليس هناك اتفاق حول طبيعة ونتائج هذه اللذات ، ولكن الأمر الذى لا شك فيه هو أن التغيرات والخبرات التى تدور حولها تعتبر أحداثاً هامة فى الطفولة المبكرة .

٣ – الانتباه البصرى : ومع أن موقف التغذية يعتبر أحد المكونات الهامة فى العلاقة بين الطفل النامى والعالم المحيط به ، فإن الطفل هو شىء أكثر من مجرد كونه « مخلوقاً فمياً » ، حقيقة أنه يستجيب للاستثارة بالفم والشفتين واللسان ، ولكنه بالإضافة إلى ذلك ، يرى ويسمع ويحس ، وبذلك يحصل أيضًا على الاستثارة بصريًا وسمعيًا ولمسيًا .

لقد قام « هوايت » الأستاذ بجامعة هارفارد بملاحظة نمو الأطفال ملاحظة دقيقة وهم يرقدون فى أسرتهم بغرفهم الخاصة ، وسجل هو وزملاؤه بعناية فائقة ، كم ونوع النشاط البصرى والحركى لدراسة انتباه الطفل ، وفى ضوء هذه الملاحظات أمكنهم تسجيل نمو نزعة الطفل لتكشف محيطه البصرى ، وقد اتضح من هذه الدراسة ازدياد انتباه الطفل بصريًّا مع تقدم السن ، يقول « هوايت » : إن إحدى النتائج الهامة التى كشفت عنها هذه الملاحظات الأسبوعية أنه — على عكس التوقعات الأكاديمية — لم يكن الأطفال فى الحقيقة « فيين جداً » خلال الأشهر الأولى من حياتهم والواقع أنه يمكن وصفهم خلال الشهور من الثانى إلى السادس بأنهم مخلوقات إدراكية بصرية . . لقد لاحظنا طفلا بعد آخر ، فوجدناهم يصرفون الساعات فى تفحص أيديهم أولا ، ثم أصابعهم ، ثم التفاعلات المتبادلة بين الأيدى والأصابع ، إن مص الأصبع ونشاط الفم لم يكن ملحوظاً إلا فى فترات قصيرة يكون فيها الطفل مضطرباً بشكل ظاهر أو جائعاً بشكل غير عادى » .

٤ — الاستثارة والحرمان : لقد كشفت بعض الدراسات التى أجريت على الحيوانات أن أسلوب معاملة الصغار والاستثارة المبكرة لهم ، يكون له آثار واضحة على نموهم التالى بعد ذلك ، فالحيوانات — كالقطط والكلاب والفيران — التى كانت تلقى معاملة طيبة واستثارة مستمرة نسبيًّا فى طفولتها المبكرة بدت أفضل — على كثير من الاختبارات

التي طبقت عليها – من تلك التي حرمت من مثل هذه المعاملة وهذه الاستثارة ، فبعض الحيوانات مثلا نُشِّئت في غرفة معتمة هادئة ، ولم تتح لها فرص الاتصال أو رؤية غيرها ، على حين رُبِّيت غيرها في مجموعات من عشرة ، وكانت تلقى الاستثارة من حين لآخر ، وتلعب في أماكن إقامتها ، وتلقى تدريباً خاصا ، وقد بدأ سلوك هذه الأخيرة مختلفاً عن سلوك تلك التي حرمت فرص التدريب ، وليس من شك في أن المعالجة المبكرة والاستثارة المستمرة للنشاط ، مفيدة أيضًا بالنسبة لنمو الطفل الإنساني ، أما الحرمان من الاستثارة والتعلم ، فقد يكون له آثار سلبية واضحة على النمو .

٥ – **أثر العزلة الاجتماعية** : الاستحالة حرمان الطفل الآدمي من الاستثارة الاجتماعية – خلقيًّا على الأقل – وتعريضه للوحدة التامة فترة طويلة من الزمن ، فإن التجارب التي أجريت لدراسة أثر العزلة كان معظمها على الحيوانات ، لقد نُشِّئت بعض القردة في حالة عزلة تامة عن غيرها وبدون أية اتصالات اجتماعية طوال الشهور الستة الأولى من حياتها ، وعندما أخرجت من عزلتها كشفت عن ألوان من السلوك الشاذة اجتماعيًّا وبشكل ملحوظ .

فكان يبدو عليها الخوف وتجنب تكوين أية صلات اجتماعية كلية ، وحين كان العزل لمدة أقل من ستة أشهر ، أمكن للحيوان أن يشفى ويعود إلى سلوكه العادي بعد فترة من الزمن ، أما حين امتدت فترة العزل إلى

أكثر من ستة أشهر ، كانت النتائج تبدو خطيرة وغير قابلة للشفاء ، إذ كان يبدو على الحيوان مظاهر الفزع والرعب الشديدين كما كان نشاطه الاجتماعى غير عادى .

فمثل هذه الدراسات توحى لنا أن الحرمان القاسى والطويل لأدنى حدود الاستثارة ، من شأنه أن يحدث آثاراً سلبية لدى الكائن الحى ، والأمر ينطبق بالمثل على الأطفال ، فقد كشفت الدراسات التى أجريت على أطفال تربوا فى الملاجئ أن الحرمان المبكر قد يعوق النمو المعرفى والوجدانى ، ومن المحتمل جداً أن يكشف الطفل الذى ينشأ فى مؤسسة أو ملجأ عن كثير من ألوان النقص ، فابتساماته أقل ، وصراخه أقل وأصواته قليلة ، ويبدو — وهو فى شهره الثامن — كما لو كان غير مهتم بشىء مما يحيط به ، خامل لا تربطه بالآخرين رابطة ، ويذهب البعض ممن قاموا بملاحظة سلوك مثل هؤلاء الأطفال إلى أنهم يفتقرون إلى الحيوية والنشاط ، وتبدو عليهم مسحة من الكآبة .

٦ — **أثر إثراء البيئة** : قامت إحدى الباحثات بدراسات لأثر الاستثارة الخاصة على أطفال المؤسسات وذلك بإعطائهم مزيداً من العطف والرعاية والإحساس بالأمومة ، فاختارت ١٨ طفلا فى الشهر السادس من العمر وكانت هنالك جماعة من السيدات تطوعن لرعاية هؤلاء الأطفال ، وقسمت المجموعة إلى قسمين نصفهم يمثل المجموعة التجريبية ، وقامت الباحثة نفسها برعايتهم كأم ، مدة ٨ أسابيع ، لثمان

ساعات يوميًّا ، ولخمسة أيام فى الأسبوع ، فكانت تغير لهم لفائفهم وتلعب معهم ، وتبتسم لهم ، وتحاول أن توفر لهم كل رعاية تقدمها الأم لأطفالها ، أما المجموعة الثانية فكانت مجموعة ضابطة تلقى الرعاية العادية التى يلقاها الطفل فى المؤسسة والتى يمكن للسيدات تقديمها فى مثل هذه الأحوال ، وبذا يمكن القول بأن أطفال المجموعة التجريبية لقوا رعاية أكثر ، ومن شخص واحد ولمدة ٨ أسابيع .

وتم اختبار جميع الأطفال – أسبوعيًّا – وفى عديد من المواقف ، وكشفت النتائج عن أن المجموعة التجريبية كانت أكثر استجابة اجتماعيًّا من المجموعة الضابطة ، فعندما كانت الباحثة تبتسم لهم وتتحدث إليهم كانوا أكثر ميلاً إلى الابتسامة واستجابة الوجه ، وكان سلوكهم متميزاً بدرجة كبيرة ، ولقد اقتصر التحسن لدى المجموعة التجريبية على ردودهم الاجتماعية ، أما النمو الحركى فكان متشابها .

٧ – **الروابط الاجتماعية :** وفى منتصف السنة الأولى تقريباً ، يبدأ الطفل الذى ينشأ فى أسرة عادية ، فى الكشف عن الروابط والصلات الخاصة التى تربطه بالأم وغيرها من أفراد الأسرة وخصوصاً الأب ، وبرغم وجود فروق فردية ملحوظة بين الأطفال فى هذا المجال ، فإن معظمهم يكشفون عن هذه الروابط والتعبير عنها فى الشهر السابع ، ويمكن الاستدلال على قوة هذه الروابط ، من مقدار معارضة الطفل وبكائه عندما يبعد مؤقتاً عن الشخص الذى يحس نحوه برابطة قوية ،

وبعدها بشهر تقريباً يبدأ الطفل فى التعبير عن الخوف من مواجهة الغرباء ، فالطفل – فى النصف الثانى من السنة الأولى – يمكنه أن يميز بين الغرباء والمألوفين لديه .

أما خلال الشهور الستة الأولى من حياته وعلى الأخص فى الفترة من الشهر الثانى إلى الشهر السادس ، فإنه يبحث عن الاستثارة الاجتماعية من أى شخص كان ويبتسم للوجوه الغريبة والمألوفة على السواء .

ويذهب الكثيرون إلى أن الروابط الاجتماعية تستمد جذورها من الرابطة الوثيقة بين الأم ، وخفض حدة التوتر الجسمى الناشئ عن دافع الجوع ، وبسبب الارتباط الوثيق بين الأم وخفض حدة هذا التوتر ، تصبح الأم موضوعاً للإشباع وموضوعاً يبحث عنه الطفل .

ولدراسة فكرة العلاقة بين التغذية والروابط الاجتماعية ، يلزم الفصل بين وظيفة التغذية للأم وغيرها من الوظائف التى تقوم بها . ومثل هذا الفصل مستحيل عملياً الوصول إليه فى المواقف الإنسانية ، ولذا أجريت التجارب على الحيوانات كالقردة ، ففى إحدى الدراسات تربت صغار القردة بعيداً عن أمهاتها الحقيقية ونُشِّئت تحت رعاية أمهات « معملية » غير حية ، أى أمهات صناعية ، ولم تكن الأم المعملية تشبه القردة ، بل كانت إحداها عبارة عن شبكة من الأسلاك ، وبرغم أنها لم تكن ناعمة أو تغرى بالمعانقة فإن صغار القردة كانت تتعلق بها للغذاء ، وكانت الأخرى تشبه الأولى إلا أنها كانت مغطاة بملابس ناعمة ، ومن

ثم كانت أكثر إغراء للصغار لاحتضانها .

والسؤال الذى يطرح نفسه للدراسة هو هل تتعلق صغار القردة عادة ببديل الأم التى تمدها بالطعام فحسب ؟ بالطبع كان الطعام معدًّا وميسرًا فى زجاجة لبن متصلة بصدر الأم البديلة ، وكان الصغار فى أثناء التجربة أحراراً فى الذهاب إلى أى البديلين ، وبصرف النظر عن كون أيتهما مصدرا للغذاء ، فإن الصغار كانت تختار بوجه عام الأم المغطاة بالملابس لأنها ناعمة وتغرى بالمعانقة وتتعلق بها وقتاً طويلاً ، كما كانت مصدر أمن فكانت تقوم بتفحص البيئة بحرية أكثر وبلا خوف وهى متعلقة بها . أما القردة التى كانت ترضع من الأم المكونة من أسلاك فحسب ، فكان سلوكها مختلف إذ لم تكن تذهب إليها إلا عندما تكون جائعة ثم تعود بعد ذلك إلى الأخرى ذات الملمس الناعم وتقضى معظم وقتها متعلقة بها .

ومثل هذه النتيجة توحى بأن سلوك الارتباط قد ينشأ مستقلا عن الغذاء وعن خفض حدة الجوع ، وربما يكون الأمر أكثر وضوحاً عند أنواع حيوانية أخرى ، كالبط الصغير الذى يطعم نفسه منذ بداية حياته ، ولكنه مع ذلك يكشف عن ارتباط وثيق بالام ، إنه يتتبعها من مكان لآخر معظم الوقت ، فالارتباط بسبب الغذاء وخفض التوتر الناشئ عن الجوع ، غالباً ما ينمى الرابطة بين الطفل والأم ، ولكنه ليس السبب الوحيد أو الرئيسى .

ثانيا : النمو فى المراحل التالية

١ - التدريب على الإخراج : والنمو يتضمن عملية انتقال تدريجى من حالة الضعف والاعتماد على (الغير) إلى السيطرة الفعالة ، والاعتماد على النفس والكفاية والاستدلال ، وقد كرست النظريات الدينامية فى علم النفس فى دراستها لهذا الانتقال اهتماماً كبيراً لعملية التدريب على الإخراج كمظهر هام للصراع بين دوافع الطفل للبحث عن اللذة ، ومطالب التحكم والضبط التى تفرضها عوامل التطبيع الاجتماعى.ولعل مصدر هذا الاهتمام بالتدريب على الإخراج ، يرجع فى جزء منه إلى ضبط عمليات التبول والتبرز تمثل سمة عالمية للتطبيع الاجتماعى ، كما يعكس هذا الاهتمام توكيد مدرسة التحليل النفسى على المرحلة الشرجية كمرحلة ثانية هامة من مراحل نمو الشخصية .

ومن الواضح أنه إذا استشعر الآباء - وبخاصة الأم - التقزز والخجل فيما يتصل بعادات الإخراج ، فمن السهولة بمكان أن ينتقل قلقهم إلى الطفل فى أثناء تدريبه على الإخراج ، وقد يصبح التدريب من المشكلات الصعبة إذا كانت الاتجاهات نحو الوظائف الجسمية « مفرطة فى الاحتشام » أو عندما تخيف المربية الطفل بقصص مفزعة عن النتائج الرهيبة لحوادث الإخراج ، وقد تحدث بعض المشكلات عند إجبار الطفل على ضبط عمليات الإخراج وهو لايزال فى مرحلة عدم النضج ،

ويجد صعوبة فى فهم ما هو مطلوب منه أداؤه.

وقد ينشأ فى مثل هذه الظروف صراع سيئ لا لزوم له بين الأم والطفل، أما فى الظروف العادية، فمن الممكن تحقيق هذا الضبط لدى الطفل النامى وبدرجة كافية دون حدوث مشكلات، وذلك من خلال التعليم السليم والاستخدام الصحيح للموافقة الاجتماعية لتدعيم الاستجابات المطلوبة.

٢ – **الجنس والعدوان**: ومع استمرار النضج وبلوغ الطفل مستوى طيب من المهارات الحركية والمعرفية، فإنه يكتسب الكثير من الإمكانات الجديدة التى تؤكد ذاته، فمع الحبو والمشى مثلاً تظهر مهارات جديدة تسمح للصغير أن يتناول بيئته بنشاط أكبر ويتكشف عالمه المحيط به بصورة أوسع، ومعظم هذه الأنشطة تُدخل السرور على نفس الآباء، وإن أثار بعضها الآخر قلقهم وسخطهم على نحو ما يحدث مثلا عندما يعبث الطفل بالأسلاك الكهربية فى المنزل.

وهناك مظهران من مظاهر السلوك يثيران المشكلات فى معظم الثقافات، وهما العدوان والجنس، أما العدوان فهو سلوك موجه نحو إلحاق الأذى (بالغير) أو توقيع الضرر به، فالعدوان له دائماً ضحية، فالطفل عندما يضرب الإناء فيكسره، قد يسكت الآباء على هذا الإتلاف، ولكنه عندما يضرب أخاه أو أحد زملاء اللعب، فسرعان ما يستجيب الآخرون لهذا الإيذاء الواقع على (الغير) ويقفون ضده

أو يمنعونه من مواصلة الإيذاء أو الاستمرار فى العراك .

والجنس مظهر ثان من مظاهر السلوك الذى يثير المجتمع ، إن تفحص الطفل للبيئة قد يشتمل على تفحصه لجسمه ، فهو يلاحظ أعضاءه التناسلية ويلفت نظره على وجه الخصوص أن لبعض الناس أعضاء تذكير وأن ليس لبعضهم الآخر مثل ذلك ، وهو يبدى اهتماماً بهذه الحقائق البيولوجية وبجسمه وقد يستمتع بلمس هذه الأعضاء .

وكما كان الحال بالنسبة للتدريب على الإخراج ، فإن خبرات العدوان والجنس ، قد تصبح مصدر قلق وكبت شديدين ، وبالمثل يمكن أن تعالج هذه الخبرات وغيرها من مظاهر الشخصية النامية دون مشكلات أو صدمات انفعالية عنيفة ، فالتهديد بالخصى أو إشعار الطفل بأن الأنشطة الجنسية أو العدوانية سيئة للغاية ، يمكن أن تنتقل بسهولة إلى الطفل من خلال أساليب النشاط التى يقوم بها من عُهد إليهم بتطبيعه اجتماعيًا ، ومن خلال الأقوال والأفعال التى تنتقل إليه عندما يمارس سلوكاً عدوانيًا أو جنسيًا أو يحاول القيام بها ، وبالمثل فإن الفشل فى تعليم الطفل ضبط العدوان أو الجنس بالطرق التى يوافق عليها المجتمع ، قد يكون له نتائج مدمرة للنمو تماماً على نحو ما يحدثه القلق والكبت الشديدين من آثار مدمرة كذلك ، فالطفل المفرط فى العدوان ، الذى لم يتعلم متى وكيف يكف الأذى عن (الغير) ، يكون لديه من المشكلات الشيء الكثير ، ومثل هذه التعليقات التى نقولها عن العدوان يمكن أن

تنطبق على التطبيع الاجتماعي للجنس .

٣ - الاستطلاع والبحث عن المعرفة : إذا كانت النظريات القديمة تركز في تحليلها للدوافع الإنسانية على الغرائز وعلى الثواب والعقاب ، فإن النظريات الأكثر حداثة توضح دور المعرفة ومتغيراتها في نمو الشخصية وتؤكد دور الصفات المعرفية — كالجدة والتعقيد والتعجب وغيرها — وأثرها على انتباه الطفل .

فالطفل — كالراشد — لديه الرغبة في الاستطلاع والمعرفة ، وتظهر هذه الرغبة في ألوان كثيرة من ألعابه ونشاطه الترويحي ، وقد تثير البيئة الجامدة ، وغير المتغيرة لفترة طويلة تبرم الفرد ، وتعوق نشاطه الإدراكي والعقلي ، في حين تثير الجدة والدهشة الزائدة على الحد الخوف والقلق ، لقد عرضت على شمبانزى مناظر مثيرة للدهشة ولكنها غير مؤذية (نموذج لرأس شمبانزى دون جسد) ففزعت منها ، وبالمثل يظهر الخوف الشديد لدى الأطفال عند استجاباتهم لمناظر أو أصوات غريبة أو جديدة عليهم كل الجدة .

٤ - الإنجاز والتحصيل : ويرتبط بالنمو المعرفي ارتباطا وثيقًا ، الدافع إلى الإنجاز والتحصيل فالرغبة في بلوغ الكفاية في النشاط العقلي والاجتماعي تلقى المزيد من الاهتمام في الاتجاهات السائدة في دراسة الشخصية ، ويمكن أن يعتبر الدافع إلى الإنجاز أحد جوانب الشخصية الأكثر ثباتاً ، فالطفل في مرحلة ما قبل المدرسة والذى يناضل من أجل

السيطرة على المهارات المعرفية والعقلية البسيطة يميل إلى توكيد هذا الدافع أيضًا وهو فى المرحلة الثانوية والجامعية ، وبالمثل فإن الأولاد والبنات الذين يبدءون حياتهم الدراسية بدوافع قوية نحو التحصيل وبلوغ التقدير يصبحون شباباً يهتمون بالإنجازات العقلية الرفيعة ، وإن كان لكل قاعدة شواذ .

وهناك علاقة بين دوافع الفرد للإنجاز ومستوى ذكائه وقدراته العقلية ، فهناك ارتباط موجب بين درجات الفرد على الدافع للإنجاز ، ودرجاته على اختبارات الذكاء ، وتتأثر درجة دوافع الفرد للإنجاز باستجابات الآخرين لجهوده ، فالأطفال أصحاب الدوافع المرتفعة للإنجاز هم عادة أبناء لآباء من النوع الذى يغذى نوازع الاستقلال عند الطفل وهو فى سن مبكرة ، آباء من النوع الذى يغفل الطلب المباشر للمساعدة ، ويشجع أكثر على بذل الجهد لبلوغ السيطرة والوصول إلى الحل الذاتى ، إن البيئة التى تزود الطفل بالفرص اللازمة للقيام بالملاحظة والتمرين على المهارات العقلية . إنما تنمى لديه فرص الإنجازات العقلية وتنمى الشخصية .

التعلم الاجتماعي فى نمو الشخصية :

بالإضافة إلى ما تقدم من مواقف وعوامل وجدانية ومعرفية ، فإن التعلم الاجتماعي يلعب دوراً هامًا فى نمو الشخصية . فلكى نفهم نمو

الشخصية فهماً واضحاً ، علينا ألا نقف عند حد وصف الروابط الثقافية ، بل نتجاوزها إلى تحليل كيف يكتسب الطفل هذا النمو ، أى إلى معرفة الميكانزمات التى تلعب دورها فى نمو هذه الشخصية .

إن الميكانزمات الأساسية للتعلم ، تُعتبر ذات أهمية أيضًا فى فهم نمو الشخصية ، وهناك ميكانزمان للتعلم يحدثان أثرهما ، ونعنى بهما الاقتران الشرطى التقليدى والأدائى .

فى الاقتران الشرطى التقليدى ، فإن ربط المثير الشرطى (المحايد) الذى ليس من طبيعته أن يُحدث الاستجابة بالمثير الطبيعى الذى من طبيعته أن يُحدث الاستجابة ، عدداً كافياً من المرات ، يجعل المثير الشرطى (المحايد) ، يكتسب صفة المثير الطبيعى ، وتصبح له القدرة على إحداث الاستجابة ، أى تتغير قيمة المثير المحايد ويصبح قادراً على إحداث الاستجابة ، ومثل هذا الميكانزم قد يحدث اتجاهات ومشاعر إيجابية أو سلبية عند الكائن الحى وفى سياقات عديدة ، فاتجاهات الطفل نحو الإخراج ونمو وظائفه الجسمية ، قد تتأثر بالأحداث الانفعالية الوثيقة الصلة بها ، وإذا حدث ربط مستمر بين وظائف الإخراج ، وخبرات إثارة الخوف (العقاب المؤلم) ، فإن القلق قد يرتبط بمكونات عديدة من وظائف الإخراج .

فالطفل الذى يستشعر الخوف والفشل فى تلويث نفسه وتوسيخها ، قد يصبح قلقاً من الذهاب إلى دورة المياه ، أو قد يرفض الذهاب إليها

ثم إنه بسبب العلاقة الوثيقة بين مجرى البول والشرج وأعضاء التناسل قد يسهل على الطفل تعميم استجابته لوظائف الإخراج على النشاط الجنسي ، وعلى العكس من ذلك يمكن أن تحدث الاتجاهات الإيجابية وتنمو نتيجة الارتباط السليم بين المثيرات الشرطية والطبيعية (أو المحايدة والموجبة) .

وفى التعلم الأدائى ، يمكن أن تتعدل أنماط السلوك بتغيير النتائج (التعزيزات) التى تؤدى إليها ، فالنتائج التى يحصل عليها الطفل عندما يحاول القيام بسلوك معين ، يؤثر فى استعداده المقبل لمحاولة القيام بسلوك مماثل ، فإذا كانت نوبة الغضب - وليس عدم الاهتمام بها - هى التى تجذب انتباه الأم المشغولة فى عمل ما ، فإن ثورات الغضب هى التى يحتمل أن يلجأ إليها الطفل ويكررها من أجل جذب انتباه الأم إليه ، وإذا كان الطفل يحصل بسهولة على مساعدة الأم وعونها حتى فى المواقف السهلة والمشكلات التافهة ، فإن الاحتمال الكبير هو أنه حين يتعرض لمشكلة صعبة إلى حدٍّ ما أن ينمى العادات الاتكالية القوية إزاءها .

وبالإضافة إلى الميكانزمين السابقين ، فإن الطفل يتعلم وينمى شخصيته أيضًا من خلال عمليات الملاحظة ، فمن خلال الملاحظة يتعلم العديد من المهارات وألوان السلوك ويكتسب معرفة بالنتائج المحتملة لهذه الألوان من السلوك ، وذلك من ملاحظته لما وصل إليه الآخرون . فملاحظة النتائج الإيجابية لسلوك الآخرين - كالحصول على الثناء عند

القيام بسلوك ما ، تميل إلى زيادة احتمال قيام الفرد بمثل هذا السلوك ، وبالمثل عند ملاحظة ألوان العقاب التى وقعت على الآخرين ، نتيجة قيامهم بأفعال معينة ، سوف تجعل الفرد يكف — فى الأغلب — عن القيام بمثل هذه الأفعال .

ثم إن التعلم بالتمييز يمثل جانباً هاما فى عملية التعلم الاجتماعى ، ففى جميع الثقافات تقريباً ، تتطلب التنشئة تعليم الطفل العديد من ألوان السلوك المقبولة والمتوقعة تحت ظروف معينة ، وكفها أو توقيع العقاب عليها تحت ظروف أخرى . فالأطفال فى جميع الثقافات تقريباً ، يتعلمون خلال السنوات القليلة الأولى ، ضبط عمليات التبول والتبرز ، أى يتعلمون ضبط أنفسهم بمعنى أن يقوموا بهذه العمليات فقط تحت ظروف معينة وفى أماكن معينة ، وليس تحت ظروف أخرى ، وتبعاً لذلك سرعان ما يتعلم الطفل التمييز الدقيق بين المواقف والأماكن المسموح بها ، والمواقف والأماكن غير المسموح بها ، ويبدأ يشكل سلوكه وفق الظروف المضبوطة التى يوجد فيها .

وفى التعلم الاجتماعى ، يركز بعض أصحاب نظريات التعلم على أهمية دور « الثواب » كأسلوب من أساليب تنمية الشخصية ، ولكن للعقاب أو « المثير المنفر » دوره كذلك ، وفى الدراسات المعملية التى أجريت على القلق ، كان المثير الطبيعى عادة هو الصدمة الكهربية والمثير الشرطى صوت أو نغمة متميزة .

إلا أن الأمر ليس بهذه البساطة فى المواقف الإنسانية ، فالمثيرات المنفرة تتضمن عادة العقاب الذى يوجه بطرق عدة وبأشكال غير مباشرة فقد ينقل العقاب عن طريق التعبيرات الوجهية أو الكلمات دون استخدام القسوة أو العنف ، ثم إن آثار العقاب الناجمة قد تبدو غريبة جدًّا ، فالأب الذى حاول قمع العدوان عند ابنه ، هو نفسه الذى يوقع العقاب على الابن ، ويقوم الابن – وفى غياب من الأب – بتقليد هذا العدوان ذاته الذى تجسد فى الأب عندما أوقع عقابه عليه .

ولقد بُذلت جهود عديدة لتقدير أساليب تنشئة الآباء للأبناء واستخدمت أساليب التقدير فى عديد من الدراسات ، وكشفت الوسائل الإحصائية عن وجود أبعاد ، منها : بعد الدفء فى مقابل العدوان والبرود ، فالأم الحنون توصف عادة بأنها متقبلة ، عطوفة ، موافقة ، تفهم وتفسر الأشياء لطفلها ، تستخدم العقل والنظام ، لا تلجأ إلى العقاب البدنى ، تستخدم المديح كأسلوب من أساليب التربية ، أما الأم التى تمثل طرف العدوان والبرود فيفتقر سلوكها إلى دفء العاطفة والحنان .

وثمة بعد آخر : هو الضبط مقابل الاستقلال ، ولهذا البعد مظهران هما : التشديد مقابل التسامح ، والروابط الانفعالية القلقة مقابل الاستقلالية الهادئة ، ومن الممكن أن يكون الأب متشددا (أو متسامح) وتكون روابطه الانفعالية قلقة هادئة ، وقد درست العلاقات بين

الأنماط المختلفة لسلوك الآباء وشخصيات الأبناء فى الكبر.

إن الأب الحنون المتسامح، قد يُنشئ أبناء يختلفون عما تجده لدى الأب الحنون، ولكن يتسم سلوكه بالتشديد والحصر، وبالمثل: فإن أبناء الآباء العدوانيين المتشددين قد يختلفون عن أبناء الآباء العدوانيين مع التسامح.

والطفل يتعلم من مصادر متعددة كالوالدين والإخوة وزملاء اللعب وزملاء المدرسة والمعلمين، ويُحدث هؤلاء أثرهم فى مواضع كثيرة من حياة الطفل، وفى مراحل العمر المختلفة، ويتوقف هذا التأثير على متغيرات كثيرة مثل: سن الفرد، وجنسه، ومركزه الاجتماعى — الاقتصادى داخل ثقافته الخاصة.

إن نمو الشخصية وما يطرأ عليها من تغيرات، لا يتوقف عند مرحلة الطفولة المبكرة، بل يستمر خلال حياة الفرد، ويرغم تركيز علم النفس عامة على السنوات الأولى من حياة الفرد فإن النمو لا يتوقف عند هذا الحد، فالخبرات المبكرة للطفل، ومساهماته المتزايدة فى النشاط والعلاقات خارج نطاق المدرسة ودوافعه الجنسية فى المراهقة ونموه العقلى ونجاحه وفشله فى الدراسة والعمل ومخاطراته والأزمات التى تمر به فى علاقاته بالآخرين، تسهم جميعها فى تشكيل شخصية الفرد، وتجعله يستمر فى الصيرورة والنمو.

لقد ركزت نظرية التحليل النفسى الانتباه على السنوات الخمس

الأولى من حياة الفرد ، ولكن الصياغات الحديثة أدركت أهمية التحديات والأزمات التي تمر بالفرد عبر الحياة ، وأحد هذه الدلالات ، الاهتمام الزائد « بأزمة الهوية » في المراهقة والرشد التي أشار إليها « أريكسون » بوضوح .

ان تبني أدواراً جديدة متنوعة في المراهقة والرشد . . اجتماعية كانت أو أسرية أو اقتصادية تتضمن الدخول في علاقات جديدة مختلفة تؤدي إلى نتائج جديدة تحدث بدورها تغييراً في الفرد .

وعندما يصبح الفرد أباً ، أي عندما يصبح موضوع التطبيع الاجتماعي أحد أدواته ، فإنه ينقل إلى أبنائه قيم وأنماط السلوك التي أصبحت قيمة ، إن مسئوليات وتحديات وأزمات الفترة الوسطى من حياة الفرد ، تُغير وبالتدريج ، من تلك التي تطرأ على الفرد مع تقدم السن به ، ومع حدوث هذه التغيرات ، تظهر مرة أخرى مشكلات وتحديات وأزمات وخبرات جديدة تُحدث أيضاً أثرها في الفرد ، وهكذا يسير الحال ، تفاعل متبادل مستمر بين الفرد والأحداث ، يؤدي إلى تعديل الواحد أو الآخر أو هما معاً إلى أن تنتهي الحياة .

صدر من هذه السلسلة :

١ — طعام الفم والروح والعقل	توفيق الحكيم
٢ — الفضاء ومستقبل الإنسان	د . فاروق الباز
٣ — شريعة الله وشريعة الإنسان	المستشار على منصور
٤ — أسس التفكير العلمى	د . زكى نجيب محمود
٥ — عالم الحيوان	د . محمد رشاد الطوبى
٦ — تاريخ التاريخ	على أدهم
٧ — الفلسفة فى مسارها التاريخى	د . توفيق الطويل
٨ — حواء وبناتها فى القرآن الكريم	أمينة الصاوى
٩ — علم التفسير	د . محمد حسين الذهبى
١٠ — المسرح الملحمى	د . عبد الغفار مكاوى
١١ — تاريخ العلوم عند العرب	د . أحمد سعيد الدمرداش
١٢ — شلل الأطفال	د . مصطفى الديواني
١٣ — الصهيونية	فتحى الإبيارى
١٤ — البطولة فى القصص الشعبى	د . نبيلة إبراهيم سالم
١٤م — عيون تكشف المجهول	د . محمد عبد الهادى
١٥ — الحضارة	د . أحمد حمدى محمود
١٦ — أيامى على الهوا	سلوى العنانى
١٧ — المساواة فى الإسلام	د . محمد بديع شريف
١٨ — القصة القصيرة	د . سيد حامد النساج
١٩ — عالم النبات	د . مصطفى عبد العزيز مصطفى
٢٠ — العدالة الاجتماعية فى الإسلام	أنور أحمد
٢١ — السينما فن	صلاح أبو سيف
٢٢ — تناصل الدول	أحمد عبد المجيد

٢٣ – الأدب العربي وتاريخه	د. أحمد الحوفي
٢٤ – الكتاب والمكتبة والقارئ	حسن رشاد
٢٥ – الصحة النفسية	د. سلوى الملا
٢٦ – طبيعة الدراما	د. إبراهيم حمادة
٢٧ – الحضارة الإسلامية	د. علي حسني الخربوطلي
٢٨ – علم الاجتماع	د. فاروق محمد العادلي
٢٨م – روح مصر في قصص السباعي	حسن محسّب
٢٩ – القصة في الشعر العربي	ثروت أباظة
٣٠ – العمارة الإسلامية	د. كمال الدين سامح
٣١ – الغلاف الجوي	د. يوسف عبد المجيد فايد
٣١أ – محمود حسن اسماعيل	د. عبد العزيز الدسوقي
٣٢ – التاريخ عند المسلمين	محمد عبد الغني حسن
٣٣ – الخلق الفني	د. مصري عبد الحميد حنوره
٣٤ – البوصيري المادح الأعظم للرسول	عبد العال الحمامصي
٣٥ – التراث العربي	عبد السلام هارون
٣٦ – العودة الى الإيمان	أحمد حسن الباقوري
٣٧ – الصحافة مهنة ورسالة	د. خليل صابات
٣٨ – يوميات طبيب في الأرياف	د. الدمرداش أحمد
٣٩ – السلام وجائزة السلام	عثمان نويه
٤٠ – الشريعة الإسلامية	المستشار عبد الحليم الجندي
٤١ – ثقافة الطفل العربي	جمال أبو رية
٤٢ – اللغة الفارسية	د. محمد نور الدين عبد المنعم
٤٣ – حضارتنا وحضارتهم	د. عبد المنعم النمر
٤٤ – الأمثال الشعبية	محمد قنديل البقلي
٤٥ – التعريف بالاقتصاد	د. حسين عمر
٤٦ – المستوطنات اليهودية	حسن فؤاد

٤٧ — بدر والفتح	محمد فرج
٤٨ — الفلسفة والحقيقة	د. عبد الحليم محمود
٤٩ — الطب النفسى	د. عادل صادق
٥٠ — كيف نفهم اليهود	د. حسين مؤنس
٥١ — الفن الإذاعى	د. فوزية فهيم
٥٢ — الكتابة العربية	محمد شوقى أمين
٥٣ — مرض السكر	د. أحمد غريب
٥٤ — شوقى أمير الشعراء ... لماذا ؟	فتحى سعيد
٥٥ — الفلسفة الإسلامية	د. أحمد عاطف العراقى
٥٦ — الشعر فى المعركة	حسن النجار
٥٧ — طه حسين يتكلم	سامح كريم
٥٨ — الإعلام ولغة الحضارة	د. عبد العزيز شرف
٥٩ — تاجور شاعر الحب والحكمة	على شلش
٦٠ — كوكب الأرض	د. فرخندة حسن
٦١ — السير الشعبية	فاروق خورشيد
٦٢ — التصوف عند الفرس	د. إبراهيم شتا
٦٣ — الرومانسية فى الأدب الفرنسى	د. أمال فريد
٦٤ — القرآن وحياتنا الثالثة	محمود بن الشريف
٦٥ — التعبيرية فى الفن التشكيلى	د. نعيم عطية
٦٦ — ميراث الفقراء	فؤاد شاكر
٦٧ — العمارة والبيئة	المهندس حسن فتحى
٦٨ — قادة الفكر الاقتصادى	د. صلاح نامق
٦٩ — المسرح الغنائى العربى	محمود كامل
٧٠ — الله أم الطبيعة	د. يوسف عز الدين عيسى
٧١ — بحر الهواء الذى نعيش فيه	د. مدحت إسلام
٧٢ — الأدب الفرنسى فى عصر النهضة	د. رجاء ياقوت

٧٣ – الحرب ضد التلوث	رجب سعد السيد
٧٤ – القصة والمجتمع	يوسف الشارونى
٧٥م – محمود أبو الوفا	فتحى سعيد
٧٦ – العسكرية الإسلامية	لواء / جمال الدين محفوظ
٧٧ – النفايات الذرية	د. محمد عبد الله بيومى
٧٨ – الإعلام والنقد الفنى	د. أحمد المغازى
٧٩ – المسرح الأمريكى	د. عبد العزيز حمودة
٨٠ – زحف الصحراء	د. محمد فتحى عوض الله
٨١ – مشاكل الطفل النفسية	د. كلير فهيم
٨٢ – الأدب التركى	د. حسين مجيب المصرى
٨٣ – مضادات الحيوية	د. محمد صادق صبور
٨٤ – الرواية الإنجليزية	د. إنجيل بطرس
٨٥ – الضحك فلسفة وفن	جلال العشرى
٨٦ – الاستثمارات الأجنبية	د. عبد الواحد الفار
٨٧ – لغتنا الجميلة	فاروق شوشة
٨٨ – الحرب عند العرب	د. عبد الرحمن زكى
٨٩ – لئلا نعترف البكاء	نشأت التغلبى
٩٠ – الإسلام وروح العصر	د. حسين فوزى النجار
٩١ – التراث الشعبى	د. عبد الحميد يونس
٩٢ – علم المنطق	د. محمد مهران
٩٣ – القلب وتصلب الشرايين	د. رجب عبد السلام
٩٤ – فن الخزف	سعد الخادم
٩٥ – الإعجاز القرآنى	د. محمد أحمد الغزب
٩٦ – سفراء النبى	د. مختار الوكيل
٩٧ – ساعة مع القرآن العظيم	د. عبد العظيم المطعنى
٩٨ – لغة الصحافة المعاصرة	د. محمد حسن عبد العزيز

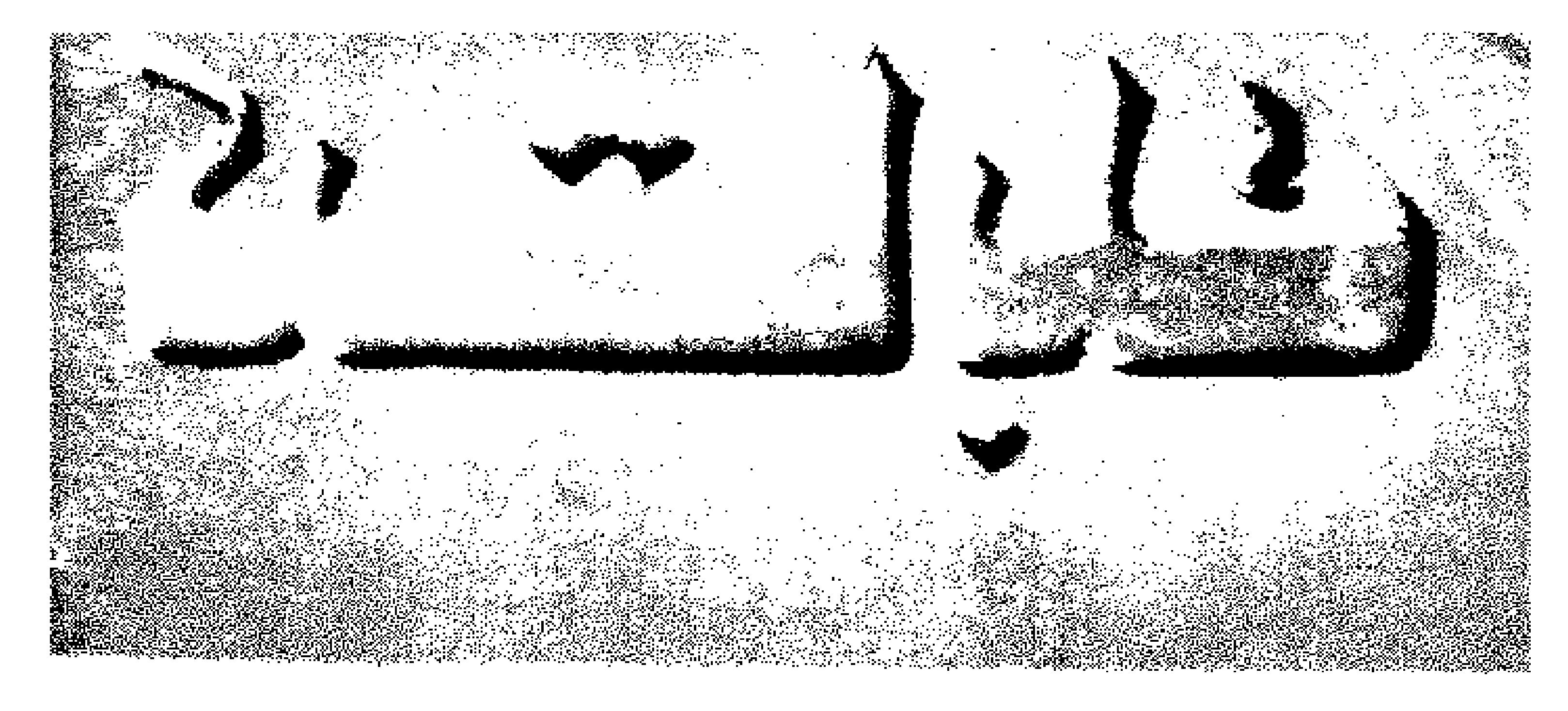
٩٩ — الكيمياء الصناعية	د . محمد الحلوجي
١٠٠— الدراما الأفريقية	د . علي شلش
١٠١— وكالات الأنباء	شفيق عبد اللطيف
١٠٢— الحدوتة والحكاية الشعبية	محمد فهمي عبد اللطيف
١٠٣— ألف باء السياسية	د . أحمد حمدى محمود
١٠٤— تطور الشعر في الغناء العربي	غطاس عبد الملك
١٠٥— الحرب الإلكترونية	عبده مباشر
١٠٦— البطل في القصة المصرية	حسن محسب
١٠٧ — عجائب الحشرات	د . محمد طلعت الأبراشي
١٠٨ — الإذاعة خارج الحدود	أنور شتا
١٠٨م— مصر الخضراء	د . فاروق الباز
١٠٩ — القانون الطبيعي وقواعد العدالة	عبد السميع الهراوى
١١٠ — فن التصوير السينمائي	أحمد الحضرى
١١١ — الطـــاقة	د . محمد فتحي عوض الله
١١٢ — الفن والمرأة	شريفة فتحي
١١٣ — نظام الحكم في الإسلام	د . مصطفى كمال وصفى
١١٤ — رحلتي مع الرواية	فتحي أبو الفضل
١١٥ — التطـــور	د . منى فريد
١١٦ — الأدب والمواطن	عباس خضر
١١٧ — آفاق جديدة في التعليم	د . طلعت حسن
١١٨ — الفن القبطي	د . باهور لبيب
١١٩ — اجتماعيات التنمية	د . محمود الكردى
١٢٠ — المسرح الشامل	أحمد زكى
١٢١ — رسائل إخوان الصفا	د . علي السكرى
١٢٢ — الرمزية الصوفية في القرآن	د . سيد عبد التواب
١٢٣ — الحب في الشعر الفارسي	د . عفاف زيدان

١٢٤ – الإنسان والعلم	د. عبد العزيز أمين
١٢٥ – نظرات فى القصة القصيرة	حسين القبانى
١٢٦ – الفراعنة أساطين الطب	محمد عبد الحميد بسيونى
١٢٧ – كهف الحكيم	فتحى العشرى
١٢٨ – فنون الزجل	محمد قنديل البقلى
١٢٩ – للألبان فلسفة وأسرار	د. مصطفى الديوانى
١٣٠ – الدراما اليونانية	كمال ممدوح حمدى
١٣١ – الأسرة فى الدين والحياة	المستشار محمد عبد الفتاح الشهاوى
١٣٢ – الأدب والحضارة	د. نعمات أحمد فؤاد
١٣٣ – الجراحة علم وفن	د. عوض الدحة
١٣٤ – علم النفس والجريمة	المستشار محمد فتحى
١٣٥ – فن المقال الصحفى	د. عبد العزيز شرف
١٣٥م – النقد الفنى	د. نبيل راغب
١٣٦ – الإخراج السينمائى	د. فاروق الرشيدى
١٣٧ – فلسفة الجمال	د. أميرة حلمى مطر
١٣٨ – النظام المالى فى الإسلام	د. إبراهيم فؤاد أحمد
١٣٩ – الفن الأثرى	صبحى الشارونى
١٤٠ – الكيمياء عند العرب	د. مدحت إسلام
١٤٠م – الشخصية بين الحرية والعبودية	فؤاد كامل
١٤١ – الأزياء الشعبية	سعد الخادم
١٤٢ – زدنى يا فضيلة الشيخ	صلاح منتصر
١٤٣ – الدراما الروسية	د. فوزى فهمى
١٤٤ – حيوانات ما قبل التاريخ	د. عبد الهادى أحمد
١٤٥ – النقد السينمائى	خميس خياطى
١٤٦ – الصحافة العسكرية	محمد عبد الحميد
١٤٦م – كأس العالم	عادل شريف

١٤٧ — خبز وحرية	إبراهيم الدسوقى
١٤٨ — التعليم مشروع اقتصادى	د. أميل فهمى شنودة
١٤٩ — فن التمثيل المسرحى	أحمد زكى
١٤٩م — حافظ إبراهيم	عبد المنعم شميس
١٥٠ — النقد والتجديد	د. عبد الحكيم راضى
١٥٠م — موسيقار من سنباط	محمد الطويل
١٥١ — تاريخ المسرح	إلهامى حسين
١٥٢ — اللغة والمجتمع	ثريا عبد الله
١٥٣ — الوادى الجديد	عبد العليم المهدى
١٥٤ — الإبداع	د. عبد الحليم السيد
١٥٥ — المسرح الإيطالى	سعد أردش
١٥٦ — الإذاعة ومشكلة الثقافة	سهير جاد
١٥٧ — تاريخ النحو	على النجدى ناصف
١٥٨ — الموسيقى والغناء عند قدماء المصريين	فكرى بطرس
١٥٩ — مذكرات أحمد عرابى	عميد محمد فريد السيد حجاج

رقم الإيداع ١٩٨٣/٣٤٦٧

الترقيم الدولى ٩٧[illegible]٠٥٤١-٩ ISBN



هـذا الكتـاب

ماذا عن الشخصية ومكوناتها ونموها، وما يطرأ عليها من تغيرات لا تتوقف عند مرحلة الطفولة المبكرة بل تستمر خلال حياة الفرد؟

إن هذا الكتاب يجيب في بساطة ويسر على كثير من هذه التساؤلات حول الشخصية من وجهة النظر النفسية.

2

To: www.al-mostafa.com